مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية – السلسلة الثانية – ٢



الكتب الاسلامية

إعـــداد

الدكتور محمـد محمـد أمان

أستاذ ورئيس قسم علوم المكتبات – جامعة ويسكونسن – ملواكي

الولايات المتحدة الأمريكية

ترجمـة وتعليـق

الدكتور سعد بن عبدالله الضبيعان

الأستاذ المساعد بقسم علوم المكتبات والمعلومات

كلية الآداب – جامعة الملك سعود – الرياض

المملكة العربية السعودية

مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض

١٤١١هـ – ١٩٩٠م

تصدير

يقول داتوس سميث في كتابه (المرشد إلى نشر الكتاب) « إن الترجمة تفتح نوافذ على العالم، وتسهم في إثراء العقل والروح على نحو لا يمكن تحقيقه بطريقة أخرى. وأياً كانت الدرجة التي بلغها بلد من البلدان، فإنه لا يستطيع المضي قدماً في طريق تقدمه دون ترجمة الأعمال من اللغات الأخرى » .

ولقد أدرك المسلمون هذه الحقيقة عبر تاريخهم الطويل، مما جعل المأمون يخصص قسماً من أقسام بيت الحكمة -مركز الأبحاث الشهير في بغداد- للترجمة . ومن ذلك القسم تفرع عدة أقسام؛ فهناك على سبيل المثال النقل من اليونانية، والنقل من السريانية، والنقل من الفارسية وهكذا .

وقد أورد المؤرخ جرجي زيدان في كتابه (آداب اللغة العربية، ج ١) أن عدد الكتب التي ترجمها المسلمون يصل بضع مئات أغلبها من اليونانية، منها ٨ كتب في الفلسفة والأدب لأفلاطون ، و ١٩ كتاباً في الفلسفة والمنطق لأرسطو، و ١٠ كتب في الطب لأبوقراط، و ٤٨ كتاباً في الطب لجالينوس، وبضعة وعشرون كتاباً في الرياضيات والنجوم لإقليدس وأرخميدس ومنالاوس وأبلونيوس وبطليموس وغيرهم .

أما النقل من اللغات الأخرى فمنها، نحو ٢٠ كتاباً من الفارسية في التاريخ والأدب . ونحو ٣٠ كتاباً من اللغة السنسكريتية أكثرها في الرياضيات والطب والنجوم والأدب . ونحو ٢٠ كتاباً من السريانية أو النبطية في مجالات الطب والفلاحة وغيرها .

أما الترجمة التي نحن بصددها فهي بعنوان «الكتب الإسلامية» نشرت في موسوعة علوم المكتبات والمعلومات ''Islamic Books'' Vol. 13. pp. 90-111. Encyclopedia of Library and Information Science وكتبها الأستاذ الدكتور محمد محمد أمان، رئيس قسم علوم المكتبات والمعلومات في جامعة ويسكونسن

-ملواكي- ولاية ويسكونسن - الولايات المتحدة الأمريكية . وقد شد هذا الموضوع انتباه المترجم لأول مرة في أثناء دراسته في المملكة المتحدة مما جعله يعقد العزم على ترجمته إلى العربية وذلك لأهميته من ناحية، ولموضوعيته من ناحية أخرى . ولقد زاد من تصميم المترجم في إنجاز هذا المشروع بالذات بعد أن قام بتدريس مادة «تاريخ الكتب والمكتبات» لطلبة قسم علوم المكتبات والمعلومات -كلية الآداب- جامعة الملك سعود مدة تربو على ٩ فصول (أربع سنوات ونصف السنة) . ومن خلال تجربته تلك عايش -عن كثب- النقص الحاد في الأدب المكتوب للمكتبات والمعلومات سواء بالنسبة لتاريخ الكتب والمكتبات أو غيرها من مواد المكتبات والمعلومات .

أما فيما يتعلق بعملية الترجمة نفسها، فإنه اتباعاً لأعراف حقوق النشر، فقد كتب المترجم إلى ناشر موسوعة المكتبات والمعلومات في الولايات المتحدة الأمريكية الناشر، مارسل دكر Marcel Dekker يستأذنه في ترجمة الموضوع الآنف الذكر. وقد وافق الناشر على فكرة الترجمة شريطة الدفع المسبق لحقوق النشر، وقد قام المترجم بدفع تلك الحقوق، ومن ثم شرع في ترجمة المقالة. وبعد الانتهاء من أعمال الترجمة عُرض المشروع على أحد الأساتذة المتخصصين في اللغة الإنجليزية الذي قام مشكوراً بإبداء بعض الملاحظات الهامة والتي أُخذت بعين الاعتبار قبل تقديم المشروع إلى الناشر (مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض) .

ولتعميم الفائدة المرجوّة من هذه الترجمة فقد عمد المترجم إلى إثراء المشروع وذلك بالقيام بما يلي :

أولًا : الشروحات والتعليقات، قام المترجم بشرح الكثير مما ورد في هذه المقالة الطويلة والتعريف والإيضاح لجميع الجوانب التي قد تخفى على القارئ غير المتخصص. كما علّق على النصوص والآراء التي وردت في النص الأصلي للمقالة .

هذه الشروحات والتعليقات كانت من الكثرة حتى أنها فاقت المتن الأصلي -لا أقول أهمية- ولكن كثرة، وساهمت في إثرائه وزادت من أهميته .

ثانياً : الإحالات المرجعية، لم يقف المترجم عند حدود الشرح والتعليق فحسب، وإنما تجاوز ذلك إلى الإحالات المرجعية للمصادر الكثيرة التي رجع إليها المترجم والتي تجاوز عددها ٧٠ إحالة مرجعية. وسيكون من السهولة بمكان على من يريد الاستزادة حول أي موضوع من المواضيع المختلفة في النص الرجوع إلى الإحالات التالية للشروح والتعليقات .

ثالثاً : الأشكال التوضيحية، نظراً لما للأشكال والنماذج التوضيحية من أهمية قصوى فقد أضاف المترجم اثنين وعشرين شكلًا ونموذجاً (جميعها ملونة) وهي توضح وتشرح الكثير مما ورد في النص، مع الإبقاء على النماذج والأشكال التوضيحية الموجودة أصلًا في النص وعددها أربعة (غير ملونة) .

رابعاً : الإحالات Reference والقائمة الببليوجرافية Bibliography ، واستكمالًا للفائدة ولأهمية الإحالات في لغة النص الأصلية، فقد أبقى المترجم على إحالات المقالة الأصلية بنفس ترتيبها في النص المترجم ثم وضعها مرتبة في النهاية . كما وضع القائمة الببليوجرافية بعد ذلك دون مساس كما أوردها الكاتب وذلك إيماناً من المترجم بأن أهمية المقالات أو المواضيع المكتوبة في الموسوعات والمراجع الأخرى قد لا تكمن في تلك المقالات ولكنها في بعض الأحيان تكمن في الإحالات المرجعية التي تذيل بها تلك المقالات .

خامساً : تجزئة المتن المترجم، ولهدف التسهيل على القارىء، فقد قسَّم المترجم الموضوع منطقياً إلى سبعة فصول تبعاً للمباحث التي عالجها واختار لكل قسم منها عنواناً يدل على محتواه دون المساس بتسلسل الإحالات الأصلية أو الشروح والتعليقات في النص المترجم ودونما إخلال بالترجمة .

كان ماسبق عبارة عن وصْف لما قام به المترجم، أمَّا ما تم القيام به من قِبَل الناشر فكان بادىء ذي بدء لا بد من التأكد من أهمية الموضوع الذي هو بصدد نشره من ناحية، وللاطمئنان إلى سلامة الترجمة من ناحية أخرى، ولذلك فقد

بعث الناشر هذا المشروع إلى التحكيم لإبداء المرئيات حول مدى صلاحيته للنشر فكان الرد إيجابياً وكانت تزكية التحكيم له خير توصية بنشره . ولهذا قرّر الناشر (مكتبة الملك فهد الوطنية) نشر هذه الترجمة ضمن السلسلة الخاصة **بالمكتبات** .

إن المترجم -الذي قدَّم جهد المقل- رغم مابذل من الوقت والجهد في سبيل إخراج هذه الترجمة في أفضل صورة ممكنة - ليأمل أن يكون قد قدم شيئاً فيه الفائدة للمتخصصين وخاصة طلبة المكتبات والمعلومات وللقاريء العادي .

والله ولي التوفيق وهو حسبنا

المترجـم

المحتــويات

الفصل الأول

التدوين

ظهرت كلمة كتاب على نحو متكرر في القرآن الكريم بعدّة معان، إلا أن أهم معنى لها أنها تعني القرآن الكريم الذي هو الوحي المنزّل من الله على رسوله محمد ﷺ . إن الإسلام ومواعظ الرسول وإرشاداته ربما كانت العوامل بالغة الأهمية التي ساهمت في تطوير الكتابة العربية وميلاد الكتاب العربي وبلوغه سن الرشد في الجزيرة العربية وفي أنحاء العالم الإسلامي . وإنه لجدير بالملاحظة، مايبديه المسلمون من تقدير وإطراء للجمال الشعري لكلمات القرآن الكريم .

ويعتبر القرآن الكريم في جميع أنحاء العالم الإسلامي أروع ماكُتب بالعربية، فهو العمل الذي كان كماله الأدبي المعجزة التي برهنت على أنه مُوحى به من الله .

لم يعرف العرب أدباً مكتوباً قبل مجيء الرسول محمد ﷺ ، وكانت أغلب أساطيرهم وأشعارهم، وأنسابهم تتداول وتنتقل على نحو شفوي من جيل إلى جيل، وممارسة النقل الشفوي هذه كانت مستخدمة في صدر الإسلام. فقد أملى النبي ﷺ كل آية وسورة من القرآن الكريم على كتّاب الوحي كما نزل بها الوحي إليه، وقام هؤلاء بدورهم بإملائها على آخرين دوّنوها على المواد المختلفة التي توافرت لهم آنذاك. كما أملاها هؤلاء على صحابة الرسول ﷺ الذين حفظوها. وهؤلاء عُرفوا بالحفّاظ لأنهم حفظوا القرآن عن ظهر قلب .

لقد شجّع عليه الصلاة والسلام على القراءة والكتابة، وهكذا منذ زمنه عليه الصلاة والسلام والعرب ينظرون دائماً إلى الكتاب بالكثير من التقدير والاحترام.

وكان أتباعه ﷺ يعتبرون الكتب أخلّاء مخلصين ومعلّمين صالحين إلى درجة أنه عندما يُسمع العربي يتحدث عن الكتاب يبدو وكأنه يتحدث عن أخ حنون أو خلّ وفي.

ولقد استبدلت طريقة الاعتماد على النقل الشفوي بين المسلمين بالكلمة المكتوبة وذلك بعد أن سقط كثير من حفّاظ القرآن الكريم في المعارك الأولى للإسلام في كل من العراق وسوريا *. فقد أمر الخليفة الراشد أبو بكر المتوفى سنة ٦٣٤م (٢٣ هـ) بجمع سور القرآن الكريم في مصحف واحد. وإذا صحت هذه الرواية التاريخية **،

* المترجم: لعل أهم وقعة سقط فيها كثير من حفّاظ القرآن الكريم هي وقعة اليمامة التي حدثت في سنة ١١ هـ وقتل فيها حوالي ٧٠ رجلًا من حفّاظ القرآن الكريم، وقد شق هذا الأمر على عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي خاف أن يذهب القرآن بذهاب حفّاظه فأشار على أبي بكر رضي الله عنه بجمع القرآن، فتردد أبو بكر قائلًا كيف أفعل أمراً لم يفعله رسول الله ﷺ وما زال به حتى شرح الله صدره لذلك فدعا زيد بن ثابت – وهو من أبرز كتّاب الوحي في عهد الرسول ﷺ – وكلّفه بجمع القرآن الذي كان مفرّقاً مكتوباً على اللّخاف والكتوف والعظام والعسب والرّق وفي صدور بعض الصحابة فتم تدوينه ووضعت الصحف التي كتب عليها عند أبي بكر، وبعد وفاته آل أمرها إلى عمر رضي الله عنه ثم إلى ابنته حفصة زوج رسول الله ﷺ. ولعل الهدف من التدوين (الأول) في عهد أبي بكر رضي الله عنه كان هدفه الحفظ من الضياع.
أما التدوين (الثاني) في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه فكان هدفه جمع القرآن في مصحف واحد بعد توحيد نصه وذلك خشية ما قد يقع من التحريف والتصحيف في القرآن لاسيّما بعد أن انتشر الإسلام خارج الجزيرة العربية ودخول كثير من غير العرب فيه. وهكذا أرسل عثمان إلى السيدة حفصة لتبعث إليه بصحف القرآن لنسخها ففعلت فأمر الخليفة عثمان بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام بنسخها في مصحف واحد سمي بالمصحف العثماني أو الإمام. وقد نسخ عدة نسخ منه أرسلت إلى الأمصار الإسلامية مثل مكة والشام واليمن والبصرة والكوفة، ثم أمر الخليفة عثمان رضي الله عنه بإحراق ماسوى تلك المصاحف.
وقد أحسن الخليفة عثمان رضي الله عنه بعمله هذا إلى المسلمين، إذ إليه يعود الفضل – بعد الله – في سلامة القرآن الكريم من التبديل والتحريف الذي نال الكتب السماوية الأخرى. وصدق العظيم القائل: ﴿إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون﴾ وقوله تعالى: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾.
انظر:
– **الكامل في التاريخ**، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير. بيروت، دار صادر – دار بيروت، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥م، / ٢ص ص ٣٦٠ – ٣٦٧، وأيضاً م ٣، ص ص ١١١–١١٢.
– **تاريخ الكتاب الإسلامي**، محمود عباس حمودة. القاهرة، مكتبة غريب، ص ص ١٠١–١٠٤.

** المترجم: هذا رأي الكاتب وليس رأي المترجم الذي يجزم بصحة الرواية.

فإن هذا يعتبر أول جمع للقرآن الكريم وأول كتاب عربي إسلامي شامل معروف لدى العرب .

وفيما بعد أمر الخليفة عثمان بن عفان المتوفى سنة ٦٥٦ م (٣٥ هـ) بتجهيز عدة نسخ من المصحف المذكور ومن ثم أرسلت إلى الأمصار الرئيسة في الدولة الإسلامية. ومن تلك المخطوطات دوَّن المسلمون نسخاً لهم ، إلى درجة أن أعداد هذه المصاحف تضاعف وأصبح في الإمكان الحصول عليها في يسر[1] . هذا التقدير العربي الإسلامي للتعليم وللكتب كان عاملًا أولياً في الاتصال الواسع بين العرب والأجانب . لقد صحبت اللغة العربية الجيوش الإسلامية الزاحفة على أراضي الدولتين الفارسية والبيزنطية وكان انتصار الإسلام نصراً للغة العربية .

لم يحفظ المؤرخون الأوائل من العرب لنا نظرية علمية أو روايات تتعلق بأصل الكتابة العربية التي كان يستخدمها العرب زمن الرسول محمد ﷺ ولكن بدلًا من ذلك أحاطوا نشأة الكتابة العربية بقصص غامضة أشبه ماتكون بالخرافات والأقاصيص وهذه ردّدها من بعدهم مؤرخون آخرون عند تدوينهم لتاريخ العالم بما في ذلك شبه الجزيرة العربية . ويشير المؤرخ العربي البلاذري (في حوالي نهاية القرن الحادي عشر)، والذي يبدو أنه اعتمد على نصوص ربما تعود إلى نهاية القرن الأول إلى أن الكتابة العربية قد اخترعت في مملكة اللخميين .

وتشير الحقائق العلمية التي ظهرت خلال القرن الماضي إلى أن عرب ما قبل الإسلام قد أخذوا الكتابة عن الأنباط، الذين كانوا قد استخدموا الحروف الآرامية لعدة قرون *. وهذه الحقائق بالإضافة لآثار أخرى إسلامية تظهر ثلاثة أنماط رئيسة

---

* المترجم : الكتابة من صفات الأمم المتحضرة، ولهذا لم يكن لدى العرب كتابة خاصة بهم إلا بعد أن أصبح لهم اتصال بالمدنيات وهذا ما يذهب إليه ابن خلدون في مقدمته. وهكذا يمكن القول بأن الكتابة لدى عرب الشمال مرّت بعدة مراحل :

١ – المرحلة الأولى وفيها استخدموا الحروف الآرامية التي تميل إلى التربيع .

٢ – وفي المرحلة الثانية تم التحوّل من الخط الآرامي إلى الخط النبطي .

٣ – ثم مرحلة النضج التي وصل فيها الخط النبطي إلى الصورة المعروفة التي تميل إلى الإستدارة مع شيء من النزوع إلى التربيع . =

من الكتابة العربية عرفت بالكوفي، والثلث، والنسخ * . والسمة البارزة للخط الكوفي هي خاصيته الهندسية . وبغض النظر عن نوعية الخط الكوفي، فإن الذي يسترعي انتباه العين مباشرة هو خطوطه الأفقية والرأسية . فالخطوط في الكتابة الكوفية غالباً ترسم بدقة متناهية حتى أن الطول والعرض والمسافات الفاصلة بينهما قد وجدت متساوية[٢] .

=٤- وأخيراً تطوّر الخط النبطي إلى صورة جديدة هي أولى صور الخط العربي – القرن السادس الميلادي – وهو مايسميه البعض بالخط النسخي بعد ظهور الإسلام .

انظر :

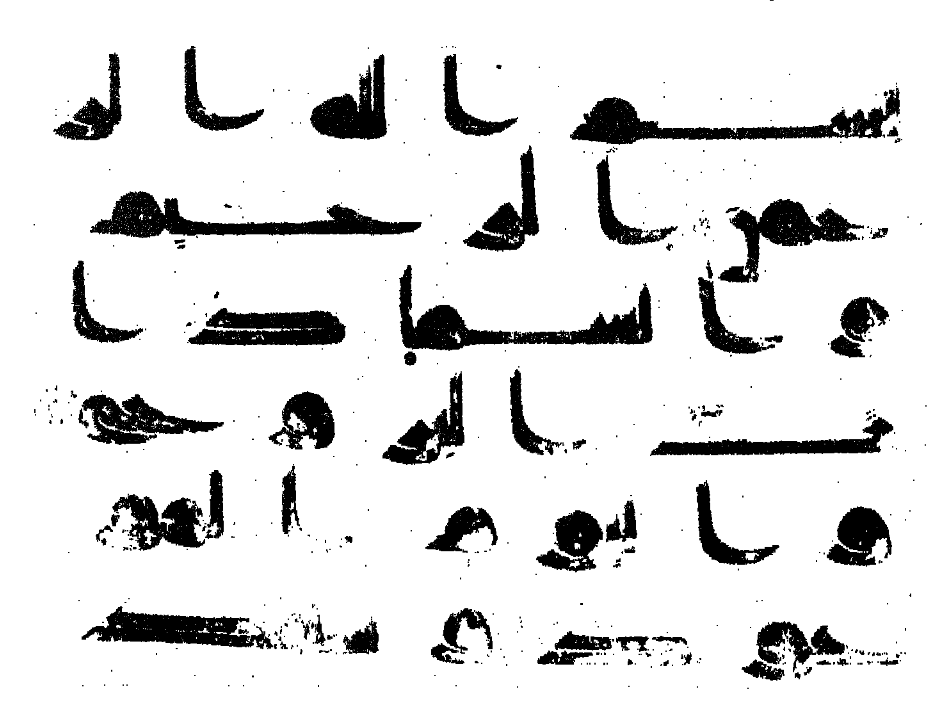
- **الخط العربي الإسلامي**، تركي عبود الجبوري، بيروت، دار التراث الإسلامي ١٩٧٥م، ص ص ١٥ – ٢٠ .
- **الخطاطة – الكتابة العربيّة**، عبدالعزيز الدالي ، القاهرة، مكتبة الخانجي ١٩٨٠م، ص ص ١٥ – ٣٦ .

* المترجم : كانوا يسمّون الخطوط بأسماء الأقلام فيقولون قلم الذهب وقلم الطومار وقلم الغبار ثم أصبحت هذه (التسمية) فيما بعد تعني نوع الخط نفسه . فيقال خط الثلث والنسخ والرُّقعة والديواني .

الفصل الثاني

الخطوط والخطاطون

لقد كتبت مخطوطات القرآن الكريم في عهود الإسلام الأُولى بحروف كبيرة (انظر الشكل ١) .



(شكل ١)

صفحة من القرآن مكتوبة على رَق بالخط الكوفي. وتنسب كتابتها إلى الخليفة علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه. (٣٥-٤٠). (صورة مأخوذة من ناجي زين الدين، مصور الكتاب العربي، الأُكاديمية العراقية، بغداد، ١٩٦٨م، ص J.) .

والخط النسخي مدين بوجوده إلى الخط الثلث الذي وجد جنباً إلى جنب مع الخط الكوفي حتى تم هجر الأخير * . وخط النسخ شكل للكتابة أفضل من الكوفي وكان يستخدم بشكل أكبر في نسخ المتون . ولقد تفوّق الخطاطون الأتراك على جميع المسلمين الآخرين في تطوير هذا النوع من الكتابة وجعله أكثر أناقة وجمالًا(٣) . (انظر شكل ٢) .

وخط النستعليق أو التعليق اختراع إيراني بحت اخترعه مير علي التبريزي الذي عاصر تيمور لنك **، الذي اشتهر (أي مير علي) أنه علم في أواخر أيامه الأربعين خطاطاً الذين كانوا يعملون في خدمة باي سنجر Bay Sunger في سمرقند، كما أن ابنه عبدالله الملقب بصاحب القلم السكري (صاحب الخط الجميل) ساهم أيضاً في تطوير هذا النوع من الخط. والفرق الرئيس بين الثلث والنستعليق أن الرؤوس

---

* المترجم : اشتق خط النسخ من خطي الجليل والطومار وقد وضع قواعد خط النسخ الوزير ابن مقلة وسمي بخط النسخ لكثرة استعماله في نسخ الكتب ونقلها .

انظر :

- **تاريخ الخط العربي وآدابه**، محمد طاهر بن عبدالقادر الكردي المكي، القاهرة، مكتبة الهلال، ١٩٣٩م ، ص ١٠١ .
- **الخط العربي من خلال المخطوطات**، مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية، الرياض، مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـ، ص ٤٥ .
- **الخط العربي الإسلامي**، تركي عبودي الجبوري، بيروت، دار التراث الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٥م ، ص‌ص ١١٧-١١٨ .

** المترجم : النستعليق نمط من الخط يجمع بين خطي النسخ والتعليق يمتاز بخفته ولطفه وسلاسته في يد الخطاط . وضع قواعد هذا الخط مير علي سلطان التبريزي المتوفى سنة ٩١٩ هـ ، يعرف هذا الخط في إيران وأفغانستان بالنستعليق وبالفارسي لدى بعض العرب .

انظر :

- **تاريخ الخط العربي وآدابه**، المصدر السابق، ص‌ص ١٠٤-١٠٥ .
- **الخطاطة - الكتابة العربية**، المصدر السابق، ص ٨٣ .



(شكل ٢)

صفحة من القرآن الكريم مكتوبة بالخط النسخي كتبت بخط ياقوت المستعصمي يعود تاريخها إلى سنة ٩٦٣م .

(صورة مأخوذة من ناجي زين الدين، **مصور الكتاب العربي**، الأكاديمية العراقية، بغداد، ١٩٦٨م ، شكل ١٩٨) .

في حروف معينة من النستعليق قد جعلت تبدو وكأنها أصغر وأسقطت ذيولها أو نهاياتها السفلى. وتم فيما بعد تطوير نوع آخر مشهور من الخط الإيراني يدعى (شكسته) * .

أمّا الخط الريحاني فقد اخترعه علي بن عبيدة الريحاني وهو كاتب غزير الإنتاج عاش في عهد المأمون وتوفى سنة ٢٠٩ هـ الموافق ٨٣٤م [٤] ** .

وهناك نوع آخر من الخط هو الغباري (اشتقت تسميته من الغبار إذ في هذا الخط شبه منه) وهو نوع بالغ الصغر . ويذكر أن الخطاط المشهور «عمر أكتا» قدّم إلى تيمور لنك نسخة من القرآن الكريم منسوخة بالخط الغباري وكانت هذه النسخة متناهية الصغر حتى أنه في المستطاع وضعها في الخاتم[٥] . ونشأ نوع آخر جديد من الكتابة في أسبانيا وذلك بعد أن انتقل المركز الثقافي للمغرب من القيروان في شمال أفريقيا إلى أسبانيا . وسمي هذا بالخط الأندلسي أو القرطبي،

---

* المترجم : خط الشكسته نمط آخر من الخطوط الإيرانية وضع قواعده الأستاذ شفيع أو (شفيعا) ثم أكمل تلك القواعد من بعده الأستاذ درويش عبدالمجيد طالقاني وهذا الخط – كما يشير محمد طاهر الكردي – يُعد طلمساً ولغزاً من الألغاز المعقدة، إذ لا يكاد يُعرف خارج إيران بل إنه في إيران نفسها لا يعرفه إلا من تعلّمه ومارسه .

انظر :

— **تاريخ الخط العربي وآدابه**، المصدر السابق، ص ١٠٥ .

— **الخطاطة –الكتابة العربية**، المصدر السابق، ص ٨٤ .

** المترجم : الخط الريحاني هو الخط الديواني لولا أن حروفه تتداخل بأوضاع متناسبة ومتناسقة خاصة حرفي الألف واللام حتى لكأنها أعواد نبات الريحان (نبات طيّب الرائحة) ومن هنا سمي بالريحاني وقد برع في كتابة هذا الخط الخطاط مصطفى بك غزلان الذي ابتكر طريقة باستطالة حروفه حتى سميت هذه الطريقة في الكتابة باسم (الخط الغزلاني) .

انظر :

— **الخط العربي الإسلامي**، المصدر السابق، ص ١١١ .

— **تاريخ الخط العربي وآدابه**، المصدر السابق، ص ١٣١ .

ويتميز عن الخط القيرواني – الذي يعتبر إلى حد ما غير مرن – بالأشكال الدائرية الملحوظة لحروفه. ويشير ابن خلدون إلى أنه بعد أن انحسر الخط القيرواني، انتشر الخط الأندلسي في شمال افريقيا، حيث أفل استخدامه مع اضمحلال نفوذ دولة الموحدين(٦) * .

بعد القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ظهرت دول إسلامية لها أهمية كبيرة في وسط افريقيا، وكان مركزها في تمبكتو التي تأسست في سنة ٦١٠ هـ حوالي ١٢١٣–١٢١٤م هذه الدولة أصبحت موطناً للخط الذي نشأ وسمي بالتمبكتي أو السوداني ** .

وبالإضافة إلى أنواع الخطوط آنفة الذكر، هناك أنواع كثيرة كانت شائعة جداً في وقتها. ومن بين المساهمات العربية يمكن أن نذكر خطي المحقق والتوقيع وتتضمن أشكال الخط الإيرانية الأخرى الجلزار، والزلفو آروس، الهلالي، والطاؤوس، ولقد طوّر الخطاطون الأتراك أشكالًا مختلفة من الخط، ومن أهمها

---

* المترجم : هناك العديد من الخطوط العربية المغربية التي نشأت في بلاد المغرب العربي والأندلسي، ورغم أنها جميعاً مشتقة من الخطوط العربية الرئيسة في الشرق إلا أن لكل منها مميزاته الخاصة ومن أهم تلك الخطوط : المغربي (القيرواني)، والتونسي، والجزائري، والأندلسي، أو القرطبي، والتكروني والستغالي .

انظر :

- **الخطاطة – الكتابة العربية**، المصدر السابق، ص ص ٩٣–٩٨ .
- **الخط العربي الإسلامي**، المصدر السابق، ص ص ١١٩–١٢٢ .

** المترجم : تولد الخط التمبكتي أو السوداني من الخط العربي وهو منسوب إلى مدينة تمبكتو (تقع حالياً في مالي) وقد انتشر في أواخر القرن السادس الهجري مع انتشار الإسلام هناك ويتميّز عن بقية الخطوط في المغرب بكبره وغلظه .

انظر :

- **الخط العربي الإسلامي**، المصدر السابق، ص ١١٩ .
- **الخطاطة – الكتابة العربية**، المصدر السابق، ص ٩٨ .

الجيلي والرقعة، والديواني، والسياق[٣] . وحرص الخطاطون حرصاً كبيراً على كتابة نص القرآن الكريم بخط جميل وأول من امتاز (برع) في هذا الصدد هو خالد ابن أبي الهياج الذي عاصر عمر بن عبدالعزيز (توفى سنة ٧٢٠م) وهو كما يذكر محمد بن إسحاق النديم، الذي أعد في حروف ذهبية نقش سورة الشمس (ورقمها ٩١) على الجدار الجنوبي من مسجد الرسول ﷺ في المدينة المنورة * .

وبالنظر للمكانة الدينية والأدبية للخطاطين في العهد الإسلامي الأول، فإن مبالغ طائلة كانت تدفع أحياناً للخطاط الخبير ولم يُبْخل بالصرف على إعداد المخطوطات وخاصة مخطوطات القرآن الكريم. ولقد أورد المؤرخون مبالغ تؤكد المكاسب المالية التي كان أولئك الخطاطون يحصلون عليها. ويُذكر أن أحد الخطاطين حصل على عشرة آلاف قطعة ذهبية مقابل ألف آية. وأشهر الخطاطين في التاريخ الإسلامي كان الوزير ابن مقلة الذي عاش خلال الفترة من ٢٧٢ إلى ٣٢٨ هـ الموافق ٨٨٥–٩٤٠م وأخوه أبو عبدالله الحسن الذي ولد في سنة ٢٦٨ وتوفى سنة ٣٣٠ هـ أو ٣٣٨ هـ الموافق ٩٤٢ أو ٩٥٠م ** .

---

* المترجم : يذكر أن أول من أجاد خط المصاحف خالد بن أبي الهياج، كان يكتب للوليد بن عبدالملك المصاحف وأخبار العرب وأشعارهم. وهو الذي كتب بالذهب على محراب مسجد الرسول ﷺ في المدينة المنورة سورة (الشمس) وما بعدها من السور إلى آخر القرآن الكريم .

انظر :

— **الخطاطة – الكتابة العربية**، المصدر السابق، ص ٦٤ .

** المترجم : ابن مقلة، هو أبو علي محمد بن مقلة الوزير، يعتبر أستاذاً للخطاط الشهير ابن البواب . أخذ ابن البواب خطه الجميل عن الأستاذ الأحول، كان ابن مقلة يُعد من أساتذة الخط وكان رجال الدولة وأرباب المعرفة يتباعون خطه بأثمان مبالغ فيها. كتب معاهدة الصلح بين المسلمين والروم (الأناضوليين) وقد بقيت هذه المعاهدة بأيديهم حتى زمن الفتح، وكانوا يرجعون إليها بين الفينة والفينة ليستمتعوا بالنظر إليها . استُوزر ثلاث مرات في أيام الخلفاء المقتدر بالله ، والقادر بالله ، والرضى . وذهب إلى القتال ثلاث مرات . وتعرّض لغضب الخلفاء ثلاث مرات . فاستصفيت أمواله ، وسجن ، وكبس بيته . بالنسبة لخدماته للخط العربي فكثيرة، فقد أتم ما بدأ به قطبة المحرر من =

ولقد بدأ ابن مقلة حياته كحاكم لبلاد فارس، ويعود إليه الفضل في اختراع التحكم الهندسي في تنظيم الكتابة باستخدام الدائرة التي ترسم فيها الحروف، بدلًا من الشكل المستطيل الذي استخدمه الخطاطون المعتبرون فيما بعد. كما اخترع ابن مقلة نمطاً آخر من الخط هو البديع. كما يُشار إلى أنه ألغى تماماً الخط الكوفي لصالح الخط النسخي. وطالما أن الحرف أو الخط الدائري كان يستعمل للكتابة الدنيوية في الفترة السابقة، فلا بد أن إصلاحات هذا الخطاط دخلت الكتابات القرآنية .

وبرز بعد ابن مقلة علي ابن هلال المتوفى سنة ٤١٣ هـ والمعروف بابن البواب وقد أعطى ابن البواب شكلًا محدداً لقواعد خط البديع في شكل أصبح الشكل النهائي لبلوغه مرحلة الكمال. ومن الواضح أن خط البديع يعتبر نمطاً رئيساً من الخطوط العربية طبقاً لقائمة حاجي خليفة، وقد وضعه حاجي خليفة في مرتبة بين الخط الكوفي والنسخي * (انظر شكل ٣و٤) .

= تحويل الخط من شكله الكوفي إلى ماهو عليه الآن ، كما أنه أول من هندس الحروف وقدر قياسها وأبعادها بالنقاط . ورغم تلك الخدمات الجليلة فإن ذلك لم يشفع له إذ وشىٰ به حاجب بن رائق لدى الخليفة الراضي الذي أمر بقطع يد ابن مقلة اليُمنىٰ فقال يد خدمت بها الخلفاء وكتبت بها القرآن دفعتين تقطع كما تقطع أيدي اللصوص ثم قال :

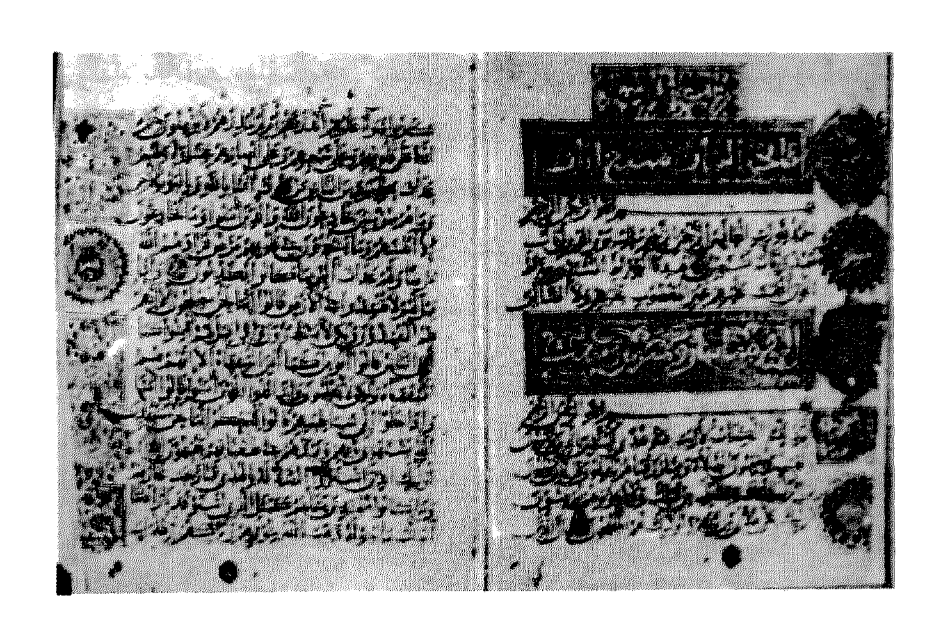
إذا مات بعضك فابك بعضــا   فإن البــعض من بعض قـــريب

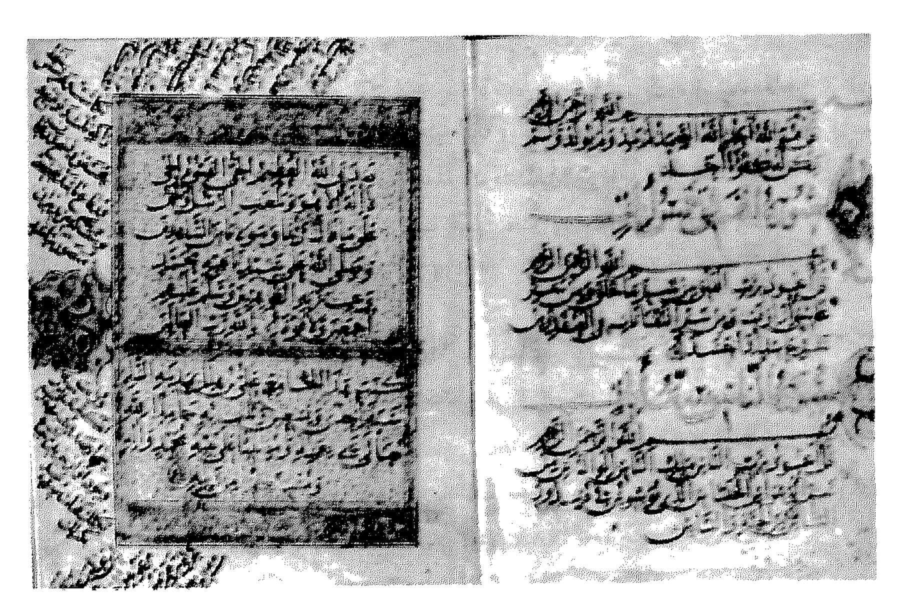
فغضب الخليفة الراضي ثم قطع بعد ذلك لسانه وبقي في السجن إلى أن مات وقيل أنه مات قتيلًا .

انظر :

- **الخطاط البغدادي علي بن هلال** ، تأليف سهيل أنور، ترجمة محمد بهجت الأثري وعزيز سامي ، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٨م، ص ص ٧٠-٧١ .
- **الخطاطة - الكتابة العربية**، المصدر السابق، ص ص ٦٦-٦٧ .

* المترجم : ابن البواب، علي بن هلال البغدادي المعروف بابن البواب توفى في سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٣٢م . كان والده بواباً عند سلاطين بني بويه . كان ابن البواب يحفظ القرآن الكريم، من أساتذته محمد بن أسد ومحمد بن السمساني . يُعد أكبر كتّاب الخط بعد ابن مقلة، يروى أنه كتب ٦٤ مصحفاً. جمع خطوط ابن مقلة في النسخ والثلث اللذين قلبهما من الخط الكوفي وهذبها =





(شكل ٣ ، ٤)

عن مصحف مكتوب سنة ٣٩١ هـ بخط علي بن هلال بن البواب أحد أعلام الخط العربي الأوائل .

هذه الصورة عن نسخة من هذا المصحف المنشور بطريقة التصوير موجودة في قسم المخطوطات – جامعة الملك سعود (الرقم ٥٨٠ ص) وأصل المخطوط محفوظ في مكتبة شستربتي في دبلن – إيرلندا (الرقم ك/١٦) .

ومن الخطاطين البارزين الذين حققوا شهرة عظيمة خلال العصر العباسي ياقوت المستعصمي (خطاط بلاط الخليفة المستعصم) آخر خلفاء الدولة العباسية. وسمي الخط الياقوتي باسمه وهناك عيّنة من عمله في كتاب مورتيز. لوحة رقم ٩٠ * (انظر شكل ٥ ، ٦) .

= ونظمها وصححها فاستقام بفضله أسلوب ابن مقلة من كل الوجوه حتى أطلقوا عليه الناقل الأول . إلا أن الناقل الأول للخط الحالي هو الحسن البصري الذي أخذ الخط عن علي بن أبي طالب . اشتهر ابن البواب بـ (ابن هلال) أيضاً، ألّف رسالة في الخط لم يبق منها غير المقدمة .

انظر :

ـ **الخطاط - البغدادي علي بن هلال**، المصدر السابق، ص‌ص ٦-٩ .

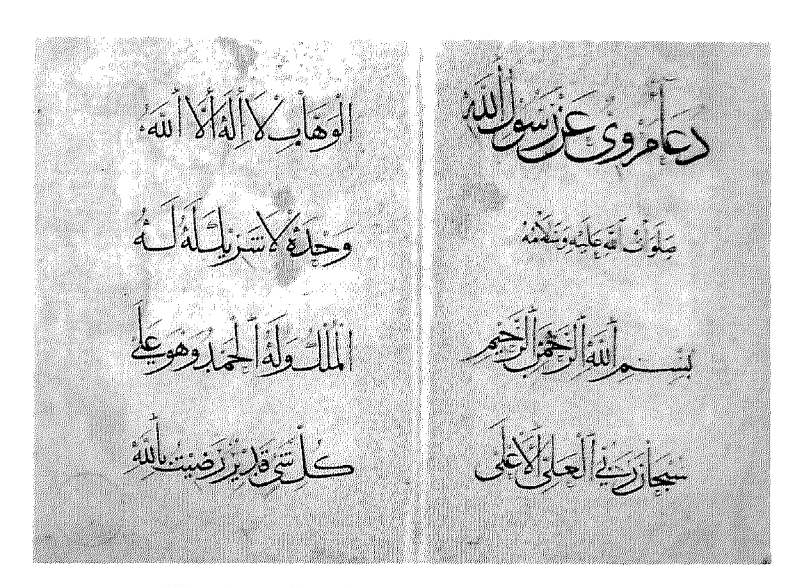
ـ **الخطاطة - الكتابة العربية**، المصدر السابق، ص ٦٧ .

* المترجم : ياقوت المستعصمي، يُعرف بقبلة الخطاطين، وكان خازناً في دار الكتب المستنصرية وكان المشرف عليه ابن القوطي . وربما يأتي ياقوت المستعصمي في المرتبة بعد ابن مقلة وابن البواب، يذكر المقريزي أن بمدرسة الأشرف شعبان بن خميس محمد بن قلاوون في القاهرة عشرة مصاحف طول كل منها أربعة أمتار إلى خمسة في عرض يقرب من ذلك أحدها بخط ياقوت وآخر بخط ابن البواب . كان ياقوت شاعراً وأديباً وقد بلغ درجة عالية في جودة الخط وإتقانه ، توفى في بغداد سنة ٦٩٨ هـ .

انظر :

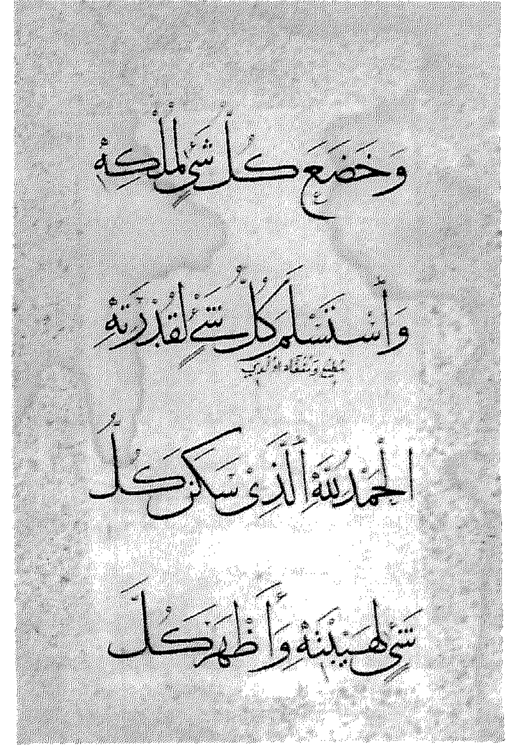
ـ **الخطاط البغدادي علي بن هلال**، المصدر السابق، ص‌ص ٢٠-٢١ .

ـ **الخطاطة - الكتابة العربية**، المصدر السابق، ص‌ص ٦٧-٦٨ .



دعاء مروي عن رسول الله
صلوات الله عليه وسلامه
بسم الله الرحمن الرحيم
سبحان ربي العلي الأعلى

الوهاب لا إله إلا الله
وحده لا شريك له له
الملك وله الحمد وهو على
كل شيء قدير رضيت بالله



وخضع كل شيء لملكه
واستسلم كل شيء لقدرته
الحمد لله الذي سكن كل
شيء لهيبته وأظهر كل

(الأشكال رقم ٥ ، ٦)

عن مخطوطة تشتمل على أدعية مأثورة بخط ياقوت المستعصمي أشهر خطاط في القرن السابع الهجري .
الرقم ٥٣٢ ، قسم المخطوطات ، المكتبة المركزية ، جامعة الملك سعود ، الرياض .

الفصل الثالث

زخرفة الكتب

لم يصبح فن صنع الكتاب عملًا يقوم به عدد من المتخصصين إلا في الفترة الإسلامية الأخيرة، فبالإضافة إلى المصور كان هناك القاطع (قاطع الورق)، والمذهّب، والطراح، والمجلد، الذي يجهز المخطوطات القديمة، والمعلم، الذي يجمع الكراسات الفنية الخالية من الكتابة والمسماة بالمربعات . وفي الفترة الواقعة من القرن السابع إلى الثامن عشر الميلادي اتسع فن تقطيع الورق الذي كان مستخدماً في صنعة المجلد والطراح ليشمل مجال الزخرفة بأكمله متضمناً عمل الخطاط والرسام .

وبتحليل الخواص الفنية للأشكال المختلفة من الكتابة الإسلامية، قد يخوض المرء في تفاصيل كثيرة. فبالإضافة إلى خصائص أو صفات الخط نفسه، يستطيع أن يرى التأثيرات المختلفة التي ظهرت بسبب الثقافات المحلية لكل بلد على حدة مما نتج عنه اختراع شكل من أشكال الكتابة وتبنّيه أو تطويره . على سبيل المثال، إذا ظهر نوع من أنواع الكتابة في إحدى البلدان الإسلامية فإنه سيتخذ قالباً يختلف عما عليه الحال في قطر آخر، ولهذا فإن المنتمي إلى دراسة هذا الخط سيكون له أسلوب يتميّز به . هذا النمط أو الأسلوب رغم أنه قريب أو مماثل للنمط الأصلي، إلا أنه سيكشف عن بعض الخصوصيات والسمات التي كان الإغريق قد أدركوها من قبل . وهكذا عندما فتح العرب بلاد فارس ورثوا الآداب والعلوم الفارسية من ناحية، والفلسفة الفارسية والإغريقية من ناحية أخرى . وهذا ما حدث أيضاً عندما سيطر العرب على المقاطعات الواسعة للدولة البيزنطية والهند .

كثير من الخلفاء المسلمين كانوا رعاة نصراء للمعرفة ابتهجوا بجمع الآداب

القديمة والمعاصرة . لقد تم نقل الكتب وترجمتها من اللغات الأخرى بتشجيع من هؤلاء الخلفاء . فالخليفة المأمون ٨١٣-٨٣٣م جمع حوله عدداً كبيراً من المترجمين والناقلين السريان، الذين ترجموا إلى العربية ماحصل عليه العرب من الأعمال اليونانية. والسريانية والفارسية * . وساهم التحريم الإسلامي للتصوير في تطوير الخط بأن أصبح على نوع من الفن في جزيرة العرب وفي أنحاء الامبراطورية

---

* المأمون، عبدالله أبو العباس المأمون (١٩٨-٢١٨ هـ) سابع خلفاء الدولة العباسية. يقترن اسم هذا الخليفة بمؤسسة بيت الحكمة المعروفة في بغداد التي يرجح أن الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣ هـ) كان أول من أنشأها كما ذكر ابن النديم عند حديثه عن علان الشعوبي الذي كان يعمل مترجماً في بيت الحكمة. ولعل اقتران اسم المأمون ببيت الحكمة مرده إلى أنها وصلت أوج عظمتها في عهده، ويشتمل هذا المجمع العلمي على عدة أقسام، كقسم النقل (الترجمة)، وقسم البحث، وقسم التأليف، والمرصد الفلكي، والمكتبة ولكل من هذه الأقسام تفرعات، فعلى سبيل المثال قسم النقل يتفرع منه النقل من اليونانية، ومن السريانية، ومن الفارسية . أما المترجمون في بيت الحكمة فكثر، ومن أشهرهم حنين بن إسحاق وابن أخته حبيش بن الأعسم وقد عيّن المأمون حنين بن إسحاق رئيساً لديوان الترجمة، ويذكر أنه كان يجيد العربية والسريانية، والفارسية واليونانية وأن النقل كان يتم قبله من اليونانية إلى السريانية ثم إلى العربية، ولما أتى حنين أصبح النقل يتم إلى العربية مباشرة ونقل في عهده كثير من كتب جالينوس وأبو قراط وبطليموس واقليدس . ومن أشهر المترجمين علان الشعوبي ، وهو راوية عارفاً بالأنساب والمثالب . ويوحنا بن ماسويه، مسيحي المذهب سرياني الأصل، قلده الرشيد ترجمة الكتب الرومانية القديمة مما وجد في عمورية وما تم الحصول عليه من بلاد الروم. والحجاج بن يوسف بن مطر، الذي نقل عن العربية كتاب اقليدس في الهندسة وذلك في حوالي عام ٨٣٠م . والفضل بن نوبخت، فارسي الأصل ولّاه الرشيد العمل في بيت الحكمة لينقل من الفارسية إلى العربية كُتب الحكمة الفارسية . وهناك مترجمون آخرون مثل عيسى بن يحيى، وقسطا بن لوقا، وأيوب الأبرش وغيرهم . وقد اشتهر من أمناء بيت الحكمة كثيرون ومنهم ثلاثة كل منهم يسمى صاحب بيت الحكمة أولهم سهل بن هارون، وله عدّة مؤلفات منها كتاب ديوان الرسائل، وكتاب تدبير الملك والسياسة . وسعيد بن هارون (أخو سهل بن هارون) وكان كاتباً بليغاً وله من المؤلفات كتاب في الحكمة ومنافعها . وثانيهم سلمان، ويقال له سلامة وسلمة كان متضلعاً في الرياضيات وترجم كثيراً من الكتب الفارسية . وثالثهم الفتح بن خاقان، وكان ذكياً اتخذه المتوكل أخاً له يقدمه على سائر ولده وأهله . أما فيما يتعلق بتزويد مكتبة بيت الحكمة بالكتب، فهناك طرق متعددة منها : إرسال المبعوثين إلى مختلف البلاد لجلب الكتب منها، ومنها مراسلة الملوك والحكام من أجل الحصول على مخطوطات الكتب، مثال ذلك ماتم مع حاكم صقلية المسيحي الذي طلب منه المأمون أن يبادر بإرسال كتب مكتبة صقلية الغنية بكتبها الفلسفية والعلمية الكثيرة مما جعل الأول يتردد في إرسالها ضناً بها =

الإسلامية. ولأنهم مُنعوا من التصوير لكل ما هو كائن حي طبقاً لما جاء به الرسول محمد ﷺ الذي عكف على تحطيم الأوثان، فإن المسلمين لم يستطيعوا تبني فنون التصوير والتماثيل التي شجعتها الديانات الأخرى إلى حد كبير * . إلا أن إغراءات الفنون كانت كبيرة لدرجة أن المسلمين شعروا أنه لابد أن يكون لديهم بعض

= وحرصاً عليها، لكن خوفه من سطوة المأمون جعله يستشير كبار رجالات دولته مما جعل المطران الأكبر يشير عليه قائلًا : (أرسلها فوالله مادخلت هذه العلوم في أمة إلا أفسدتها) فأذعن الحاكم للمشورة وأرسل الكتب إلى المأمون. ومن الأساليب الأخرى في تزويد المكتبة بالكتب أن المأمون كان يُضمِّن شروط معاهدات الصلح شرطاً يحصل بموجبه على الكتب -خاصة مع حكام الروم- ومثال ذلك ماعمله مع امبراطور الروم ميشيل الثالث حيث كان أحد شروط المعاهدة معه أن يهبه إحدى مكتبات القسطنطينية التي كان بها من الذخائر مالا يقدّر بثمن .

انظر :

- **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ط٧، م٣، حسن إبراهيم حسن ، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤م، ص ص ٣٣٤-٣٤٨ .
- **المكتبات في الإسلام – نشأتها وتطورها**، ط٢، محمد ماهر حمادة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٨م، ص ص ٥١-٨١ .
- **المكتبة في العالم العربي – تاريخها وطرق العمل بها**، عمر حسن حمدي . القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٩، ص ص ٢٤-٣٢ .
- قصة الورق، أنور محمود عبدالواحد ، المكتبة الثقافية ع ٢٠٣، القاهرة، أغسطس ١٩٦٨م، ص ٥٠ .

* المترجم : لعل السبب في كراهية التصوير في الإسلام يعود إلى الفزع من الوثنية وعبادة الأصنام والخوف من الرجوع إلى ماكان عليه معظم العرب في الجاهلية فضلًا عن كراهية الترف وعن النفور من مضاهاة خلق الله . هذه الكراهية للتصوير وعمل التماثيل جنّبت المسلمين اتخاذ فن التصوير عنصراً في الحياة الدينية في المساجد والأضرحة إلا في حالات نادرة (أنظر الأشكال من ٧-١٥)، مما جعل الفنانين المسلمين ينصرفون إلى إتقان الزخارف البعيدة عن تجسيم الطبيعة الحية وبالتالي يتفوقون في العمارة وفي زخرفة المباني وفي تزيين النحت والألطاف. كما رفع ذلك مكانة الخطاطين والمذهبين وسائر المشتغلين بإنتاج المخطوطات الثمينة .

انظر :

- **دائرة المعارف الإسلامية** (النسخة العربية)، إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وآخرين ، م٩، القاهرة، الشعب، ١٩٦٩هـ ، ص ص ٣٦٣-٣٦٧ .

الوسائل التي يعبّرون بها عن الجمال، وقد وجدوا ذلك في الكلمة المكتوبة * .

الجمال والكمالية أُصبحا جزءًا من فن جديد متطور يجذب إليه المواهب الفنية التي لم يكن لديها سبيل آخر للتعبير عن نفسها(٨) . لذا وجد الفن الإسلامي ملجأ له في الخط الإسلامي (العربي) .

والكتابة العربية، التي تناسبت بسهولة مع هذه الأغراض، أصبحت وسيلة ذات قيمة للزخرفة . إن جمال الانحناءات أو التقوسات في النقوش العربية (أرابيسك) الكوفية لم يستعمل فقط زخرفة للمساجد والقصور وإنما زيّن الصفحات المصورة في الكتب، وهناك نماذج من مخطوطات نادرة لاتزال محفوظة في بعض المتاحف والمكتبات في أنحاء مختلفة من العالم .

إن الفن الإسلامي لزخرفة الكتب، الذي طوّر بشكل كبير فيما بعد، قد ترعرع من بدايات متواضعة مثل فنون العصور القديمة وفنون أوائل العصور الوسطى المسيحية. وكانت النصوص الأدبية الخاصة بالقرن الثاني والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين) كانت فصولها من أي حجم تنتهي بنقاط زخرفية .

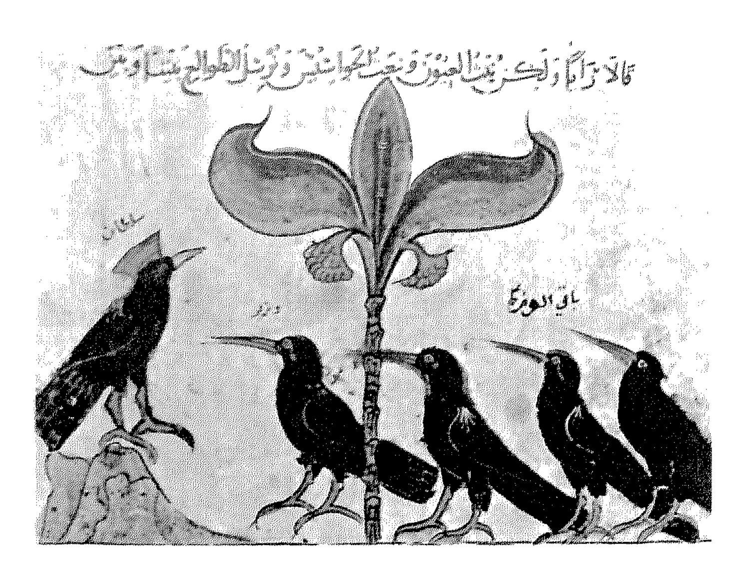
وفي نهاية الكتاب كانت الزخرفة التي استخدمت خلال المتن لتقسيم الأجزاء الكبيرة تستعمل بطريقة أكثر توسعاً. وأحياناً نجد زخرفة على شكل طير قد وضعت عند نهاية المتن شبيهة بـ الكورنيس (Coronis) التي وُجدت في المخطوطات اليونانية .

ثم حلت به مجموعات من الأشكال الهندسية في تركيبة مع أوراق الشجر أو العقد الزخرفية محل الزخرفة البسيطة عند نهايات الفقرات الكبيرة. وكما في المخطوطات المسيحية، تأخذ هذه الأشكال حيّزاً كبيراً وتمد الشكل الممل الرتيب للنص بالحياة بشكل فعّال .

ولقد استخدمت الكتابة بالذهب والفضة، مجاراة لزخرفة عناوين السور في مخطوطات القرآن، لإبراز العناوين وعناوين الفصول في المخطوطات الدنيوية،

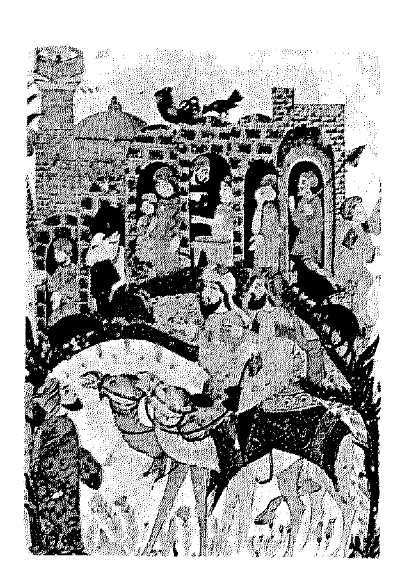
---

* المترجم : مع كراهية المسلمين للتصوير إلا أن هذا لايعني أن بعض الكتب الإسلامية لاتشتمل على بعض الصور ولا سيما حينما يكون وجود مثل هذه الأشكال ضروري لإلقاء الضوء على ماورد في النص ومثل هذه قد تكون ضرورية في الكتب الطبية والتعليمية وغيرها . ومن أهم الكتب التي تضمنت صوراً في غاية الوضوح كتاب مقامات الحريري. (الأشكال من ٧-١٢) .



(شكل ٧)

مجلس الغربان، من كتاب (كليلة ودمنة) رسمت في سوريا في القرن الثالث عشر الميلادي، مخطوطة في المكتبة الأهلية في باريس .



(شكل ٨)

زيارة إلى قرية، من كتاب (مقامات الحريري) رسمها يحيٰى الواسطي في بغداد في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، محفوظة في المكتبة الوطنية – باريس .



(شكل ٩)

سولون وتلاميذه، من كتاب (مختار الحكم ومحاسن الكلم) رسمت في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، محفوظة في مكتبة طوبكوسراي – اسطنبول .



(شكل ١٠)

المقامة التاسعة والثلاثون، من كتاب (مقامات الحريري) رسمها يحيٰى الواسطي في بغداد حوالي منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، محفوظة بالمكتبة الوطنية – باريس .



(شكل ١١)

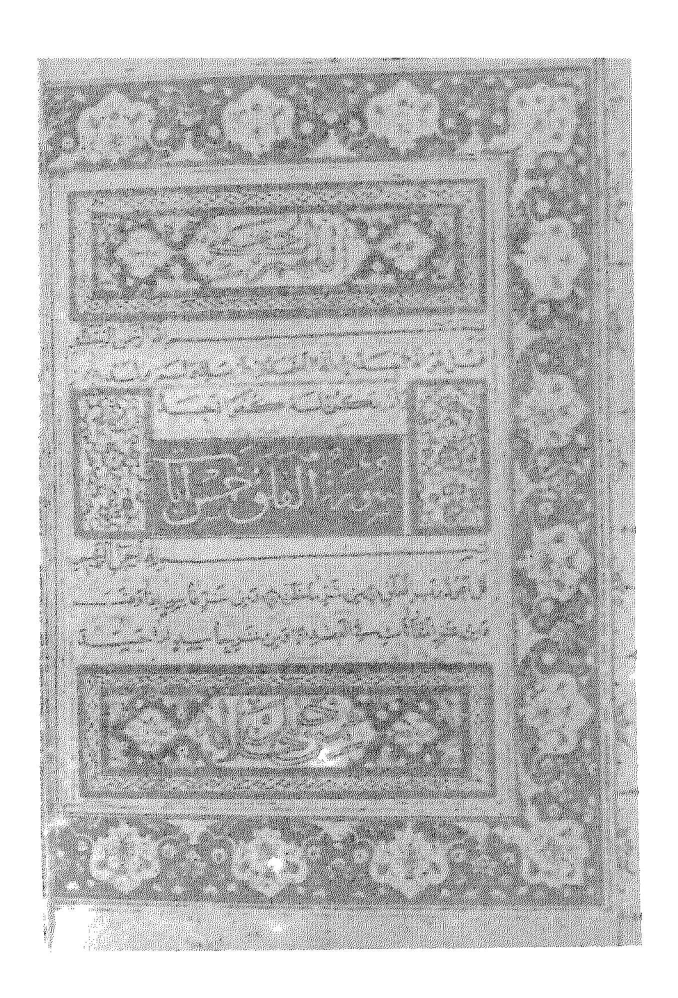
قافلة الحج، من كتاب (مقامات الحريري) رسمها يحيٰى الواسطي في بغداد حوالي منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، محفوظة في المكتبة الوطنية - باريس .



(شكل ١٢)

فرسان يستعدون للاشتراك في المهرجان، من كتاب (مقامات الحريري) رسمها يحيٰى الواسطي في بغداد حوالي منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، محفوظة في المكتبة الوطنية - باريس .

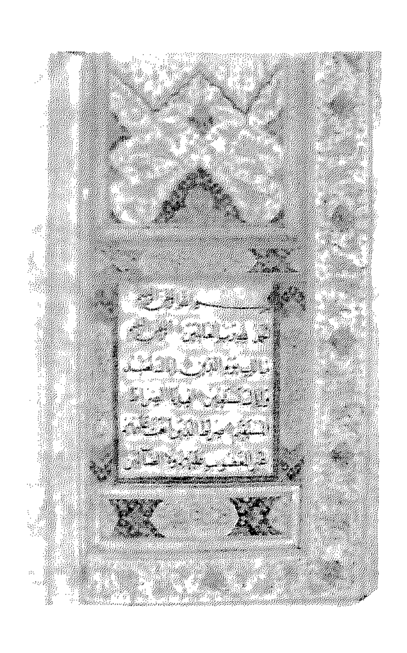
وأحياناً كانت الصفحة بكاملها توضع في إطار زخرفي للغرض نفسه مثال على ذلك ماوجد في مجموعة رينر (Rainer) في فينا (انظر الأشكال من ١٣-١٦) .

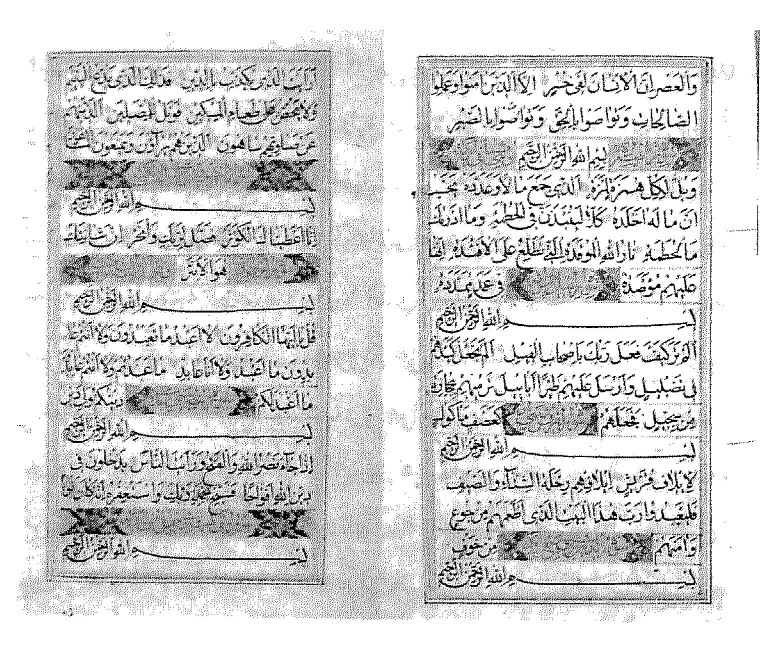


(شكل ١٣)

زخرفة عناوين السور من القرن السابع الهجري، صفحة من القرآن الكريم مكتوبة بخط ياقوت المستعصمي .

(صورة مأخوذة من ناجي زين الدين، **مصور الكتاب العربي**، الأكاديمية العراقية، بغداد، ١٩٦٨م، شكل ١٩٧) .





(الأشكال رقم ١٤، ١٥، ١٦)

عن مخطوطة للقرآن الكريم من القرن الثالث عشر الهجري تقديراً ، الرقم ٥٨٦٣ قسم المخطوطات ، المكتبة المركزية ، جامعة الملك سعود ، الرياض .

ومن بين الألوان المستخدمة كان الأحمر هو الأكثر تكراراً، عادة لونه الباهت أو القرمزي اللامع، واللون الأحمر الداكن أو الياقوتي . وبالإضافة إلى ذلك الأصفر (الأصفر الباهت)، والأصفر الكرومي، والأصفر المحمر الفاتح والأخضر المعتم في درجات من الأخضر القاتم، أو الأخضر الضارب إلى الصفرة، والأخضر القاتم كل هذه الألوان كانت شائعة. وكون تلك هي الألوان الأكثر استخداماً يوحي بالاعتماد على حد معيّن على الفن القبطي. ففي المخطوطات القبطية يسود اللونان الأحمر والأصفر، وعادة مايرتبطان مع الأخضر . وبالنسبة لتزيين كتب القرآن الكريم في العصر الإسلامي الأول تظهر تركيبة الأحمر والأصفر والأخضر بشكل مستمر بل وحتى اليوم لايزال هناك تفضيل لاشك فيه لتلك الألوان . ويأتي بعد تلك الألوان الأبيض المغبّر والقرمزي الفاتح تلك التي استخدمت لتمثل خطوطاً عامة واضحة . وكانت الجوانب أو الهوامش عادة ترسم بالأسود الغامق. ولقد استخلص جرومان (Grohmann) من مقارنته أن الألوان التي استخدمت في الكتب العربية شبيهة بما اشتملت عليه لوحة ألوان الرسامين المصريين (الملون) وكبار الرسامين الإغريق في الفترة الهيلينستية [٩] .

واستعمل جرومان مثالًا لذلك الكتاب المصري (كتاب الأموات) المحفوظ مع مجموعة رينر في المكتبة الوطنية في فيينا الذي يظهر أوزيريس (Osiris) في منظر يوم الحساب حيث رسمت الأشكال الموجودة على ملابسه بنقاط فاتحة حمراء وزخرفت الرقبة الذهبية والتاج المرصّع بالذهب، والهوامش مرسومة بالأسود. ويختم جرومان مقارنته بالإشارة إلى ذلك قائلًا : «لدينا هنا نفس الأسلوب الذي استعمل فيما بعد من قبل المانويين وهي نفس الطريقة التي أصبحت مألوفة لدى المزينين المسلمين...» [١٠] . وبالنسبة للرسوم الإيضاحية في المتن فإنها بشكل عام إمَّا غير مظللة أو أنها ملونة كما هو ملاحظ في النصوص القديمة ومن نصوص ورقة البردي المصري، وبعض تلك المخطوطات يعيد إلى الأذهان الأسلوب المتبع في النماذج الهيلينستية .

وزخرفة القرآن الكريم كان لها مكانة فريدة في تطوّر زخرفة الكتاب، مكانة منفصلة عن الزخرفة في المخطوطات (غير الدينية) .

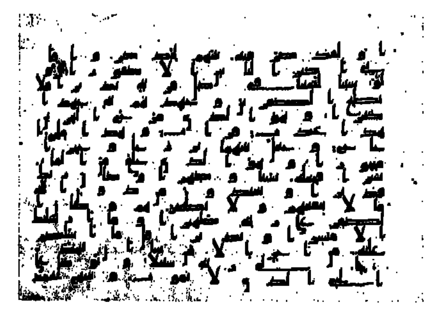
ولقد تأثرت زخرفة القرآن الكريم إلى حد كبير بالطرق المستخدمة من قِبَل أهل الكتاب (اليهود والنصارى) . وهذا شيء طبيعي بالنظر للاتصال والتعامل المتكرر بين المنتمين إلى ثلاثة الأديان السماوية العالمية. وهكذا فإن نسخ القرآن ذي الحجم الكبير التي تُوضع في المساجد من أجل القراءة تذكّرنا بالنسخ من الحجم الكبير من مجلدات صلوات العام التي توضع في الكنائس .

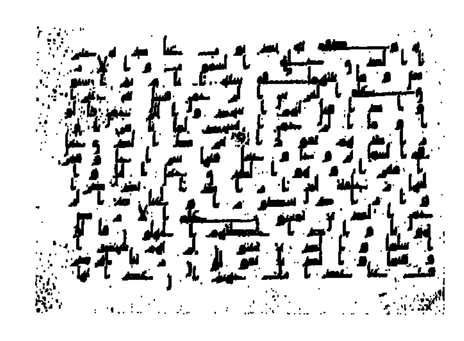
ويعود الفضل للخط الإسلامي في التأثير على الرسّام المسلم وتصاميمه، التي توصف في بعض الأحيان بالخطوطية (Calligraphicant) وذلك لكونها توحي بالخطوط المناسبة الإيقاعية للحروف العربية الجميلة. إن فن التمويه بماء الذهب وصل إلى مرتبة رفيعة مساوية لما وصلت إليه الفنون الأخرى التي ساهمت في صُنع مخطوطات القرآن الكريم . وكانت شيئاً مميّزاً تماماً عن عمل الرسّام إلا أننا نجد في بعض الأحيان كلا الفنين تمارس من قِبَل نفس الفنان، وكثير من الرسّامين الذين ذيلوا لوحاتهم بتواقيعهم وصفوا أنفسهم بأنهم مذهبون . ومن الواضح أنهم قاموا بهذا العمل رغبة في الحصول على المكانة الرفيعة التي اعتُرِف بها للمذهّبين ولم يُعتَرف بها للرسّامين الذين كانوا مجرد رسّامين .

وأثّر اختراع الطباعة على فن الخط في الدول الإسلامية إلى حد كبير بنفس الطريقة التي حصلت في أوربا. إلا أنه في بلاد الشرق أُخذت الطباعة وقتاً أطول لتحل الآلة محل الناسخ ولهذا استمر فن الخط في التطور. وقد أبقى قادة الخطاطة مدارسهم الخاصة طيلة القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر بل وأوائل القرن التاسع عشر وتلقّوا دعماً ضخماً من زبائنهم الدائمين. إلا أنه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أصبحت المطابع نشيطة بشكل متزايد وأصبح الإقبال على خدمات الخطاط يقل شيئاً فشيئاً. إلا أن المراحل المختلفة لتقدم الخطاطة الإسلامية والنظام الذي قامت عليه أثبتت أنها الدعامة الأساسية للفن الإسلامي .

أدوات الكتابة

الخطّاط، شأنه شأن أي فنان آخر، عليه أن يقوم بعمله بمساعدة بعض الأدوات التي يتوقف إتقان عمله على نوعيتها وكفاءتها إلى حد كبير. وقد عرف العالم الإسلامي أغلبية مواد الكتابة التي كانت معروفة في العصور القديمة والوسطى. ومن بين تلك المواد التي استخدمت بشكل رئيس من قِبَل المسلمين الحجر، والخشب، والمعدن، والعظام، والفخار المخلوط بالحجر (Ostraca) والكتَّان، والحرير، والجلد، والرِّق (البرشمان)، وورق البردي، والورق (شكل ١٧ ، ١٨) .





(شكل ١٧ ، ١٨)

عن مخطوطة من القرآن الكريم مكتوبة على الرِّق (الجلد) في القرن الثاني أو الثالث الهجري، بالخط الكوفي .

الرقم ٢٩١٦ ز – قسم المخطوطات – المكتبة المركزية ، جامعة الملك سعود ، الرياض .

وقد تناول جرومان استخدام العرب لهذه المواد بالتفصيل [١١] ، واضعاً قائمة بالمصادر العربية التي أثبتت أن الأدب العربي يزخر بالإشارات إلى مصانع ورق البردي وأجزائه المختلفة، واستخداماته العديدة المختلفة[١٢] .

ومع أن ورق البردي كان معروفاً لعرب الجاهلية إلا أن تلك المادة لم تكن ناقلًا رئيساً لأفكار العرب وتاريخهم حتى ظهور الإسلام. ولقد أدى البردي عملًا مهماً في حفظ سجلات حضارة وتاريخ عالم الإسلام. حتى حل الورق محل البردي في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين .

وبعد افتتاح مصر أصبح ورق البردي متوافراً وشيئاً فشيئاً استعمله الخلفاء للاستخدام الرسمي. ولقد كانت مميزات استخدام ورق البردي هناك أنه كان حاضراً ومتيسراً وفي أشكال ملائمة وحقيقة ظهور أي تلاعب بالنص بعد كتابته، طالما أية محاولة للإزالة أو التغيير في الكتابة يتسبب في إتلاف المواد المكتوبة عليها النص أو تشويهها[١٣] * .

---

* المترجم : البردي، بكسر الباء وضمها وفتحها نبات مصري قديم نبت على ضفاف النيل واستخدم مادة للكتابة بعد شق سيقان شجره إلى شرائح رقيقة تصف إلى جانب بعضها –فوق سطح مستوي– ثم توضع فوقها طبقة أخرى بشكل متعامد ثم تغمر الطبقتان في الماء وقتاً ليلتصقا بفعل ما فيهما من مادة لاصقة وهكذا تتكون صحيفة البردي التي تترك فترة في الشمس لتجف ثم تشذب أطرافها وتهذب وتنعم ويكتب على الوجه الأفقي Recto . ولعل أفضل مزايا البردي بالنسبة لمصر القديمة توفره، وسهولة إعداده، وظهور أي تلاعب بالنص بعد الكتابة، بالإضافة إلى خفة نقله، أما المساوئ فمتعددة، منها سرعة عطبه مقارنة بمواد الكتابة القديمة كالرقم الطينية المستخدمة في كتابة وادي الرافدين، وكالخشب المستخدم في الكتابة الصينية القديمة، ثم الرقوق التي استخدمت في مملكة برجاموم أو برغامه Pergamum وفي مناطق أخرى .

انظر :

— مكتبة الإسكندرية القديمة – «لمحة تاريخية»، سعد بن عبدالله الضبيعان، **مجلة العصور**، ج ١، م ٤، يناير ١٩٨٩م، ص ص ٧–٣٢ .

— **الخطاطة – الكتابة العربية**، المصدر السابق، ص ١١٤ .

لقد اقتبس الديوان في مصر استخدام ورق البردي من البيزنطيين، أمَّا السريان فقد استخدموه كثيراً (بحرية) وإن كانوا لم يقتصروا عليه وحده لقد وجدت بعثة كولت (Colt Expedition) الخاصة بالمدرسة البريطانية للآثار في القدس في عليا الحافر (Aulia Al-Hafir) عدداً كبيراً من أوراق البردي، من بينها خمس وثائق ضرائب عربية إغريقية من منطقة غزة في فلسطين يعود تاريخها إلى ٥٤و٥٥ هـ ٦٧٤-٦٧٥م [١٥] .

استمر ورق البردي في المرتبة الأولى في استخدام الدواوين العباسية في العراق حتى ظهر منافسه الخطير (الورق) وذلك بعد سنة ٧٥١م . ولقد أقيم أول مصنع للورق في بغداد بين سنتي ٧٩٣ و ٧٩٥[١٦] . ولكن ظهور الورق لم يوقف فجأة استخدام ورق البردي، وظل استخدام المادتين يسير في العراق جنباً إلى جنب حتى نهاية القرن العاشر الميلادي . واستمر البردي في النمو ولكن بكميات محددة وبجودة أقل[١٧] .

في مصر، كان من الطبيعي أن حافظ ورق البردي على مركزه، وفي المصادر العربية، يستطيع كاتب القرن التاسع عشر أن يشير إلى أن ورق بردي مصر كان في ذلك الوقت بالنسبة للغرب كورق سمرقند بالنسبة للشرق .

ومنذ حوالي منتصف القرن السابع الميلادي أصبح الورق الصيني معروفاً للمسلمين إلا أنهم تضلَّعوا في فن صناعة الورق بعد ذلك بعقود قليلة .

إن المسلمين هم أول من استخدم الخرق البالية في صناعة الورق. وطورت صناعة الورق في سمرقند ومن هناك انتشرت في جميع الدول الإسلامية* .

---

* المترجم : ابتكر الصينيون صناعة الورق في حوالي عام ١٠٥م وظلت هذه الصناعة سراً لمدة طويلة حتى انتشر الإسلام في سمرقند وما جاورها . أما عن كيفية كشف سر هذه الصناعة فإنه جاء نتيجة لإحدى المعارك التي حدثت بين المسلمين والصينيين في حوالي عام ٧٥١م عندما أسر المسلمون بعض الأسرى الصينيين ممن يجيدون صناعة الورق، ومنهم تعلم العرب هذه الصناعة المهمة حيث أقيم أول مصنع في بغداد في حوالي ٧٩٣م ثم بدأت صناعته في الانتشار في ربوع العالم الإسلامي مثل مصر =

وقد أنشيء عديد من المصانع في بغداد، وتبريز، وفي مراكز الحضارة الإسلامية المهمة الأخرى وتم تطوير أنواع متعددة من الورق . من بين الأنواع التي لا تزال مُستخدمة حتى نهاية القرن العاشر الميلادي الفرعوني، وطوّرت نوعية ورق لمنافسة ورق البردي المصري، فهناك الجعفري نسبة إلى جعفر البرمكي، وهو وزير فارسي الأصل في عهد الخليفة هارون الرشيد . والطاهري نسبة إلى الأسرة الحاكمة الطاهرية، والنوحي، نسبة إلى نوح بن منصور الساماني من الأسرة الحاكمة السامانية[١٨] . والورق الحريري السلطاني والسمرقندي كانا أيضاً من الأنواع المستخدمة . والنوع الأخير رغم أن اسمه الحريري إلا أنه لم يُصنع من الحرير، ولكنه مصنوع من الكتان وسبب تسميته بالحريري، لأنه كان ناعم الملمس ويمكن الحصول عليه من مادة غروانية خفيفة مع مادة يسيرة من مادة الصابون ومن ثم يُصقل أو يلمّع بأحجار كالزجاج . وكان في العادة أن يُنضح أو يرش بالذهب قبل الاستعمال . هكذا كان التنوع في الورق الوطني الذي كان تحت تصرُّف الخطاط والذي يستطيع أن يختار منها ما يشاء[١٨] .

وهناك صفة أخرى للورق وهي لونه. فالورق صنع في تشكيلة من الألوان، ولكل نوع منها أهميته. في مصر وسوريا استخدم الورق الأزرق بشكل ثابت في مناسبات الحداد، وفي أوامر الإعدام، التي كانت توقع على هذا اللون من الورق . الورق الأحمر اعتبر إشارة إلى السعادة والحظ الحسن، ولأن الأحمر الفاتح والوردي

= التي قامت فيها هذه الصناعة في عام ٨٠٠م، وفي الأندلس في عام ٩٥٠م في مدينة شاطبة . ومن الأندلس أخذ الأوربيون صناعة الورق فأقيم أول مصنع في صقلية في عام ١١٠٢م وفي إيطاليا في عام ١١٥٤م وفي ألمانيا في عام ١٢٢٨م وفي إنجلترا في عام ١٣٠٩م .

انظر :

— **قصة الكتابة والطباعة من الصخرة المنقوشة إلى الصفحة المطبوعة**، فرانسيس روجرز، ترجمة أحمد حسين الصاوي، القاهرة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٦٩م، ص ص ١٥٣-١٥٧ .

مقدر على نحو خاص، فإنه كان نادراً وامتيازاً جلياً يمنح لبعض رسميي الحكومة لاستخدامه فضلًا عن استخدامه في المراسلات مع الخلفاء والسلاطين. يستخدم هذا اللون أيضاً بين المحبين كشعار للنار ليرمز إلى قوة ولعهم الشديد، أما البنفسجي الفاتح فهو لون الملكية ويستخدم فقط في المراسلات الخاصة بالحكام، والورق الأصفر، الذي يمكن الحصول عليه باستعمال محلول الزعفران، كان يستخدم بشكل رئيس من قبل الإكليروس (رجال الدين المسيحي) وطبقة النبلاء(١٨) .

ويعتبر القلم الأداة التي لا غنى عنها. وقد استخدم الناسخ العربي قلم القصب إلى حد كبير بنفس طريقة عصرنا الحاضر . ويجب أن يكون القلم المصنوع من القصب قوياً حتى لا تمحى كتابته بسهولة . ولقد أنتجت مستنقعات الوجه البحري في مصر وأجزاء من بلاد العراق وفارس تشكيلات من القصب صالحة للاستخدام في هذا الغرض . وأفضل أنواع القصب يسمّى الوسيط الذي نما عبر المستنقعات الممتدة على ساحل الخليج الفارسي (العربي)(١٨) * .

---

* المترجم : القلم أولى أدوات الناسخ، ويستخدم لفظ قلم للدلالة على نوع القلم أو للدلالة على قواعد خط معيّن . وقد مر القلم كأداة للكتابة بتطورات عدة : ولعل أول قلم كتب به كان عبارة عن جسم صلب مدبب أشبه ما يكون بالإزميل وذلك للكتابة به على الأجسام الصلبة قبل اختراع مواد الكتابة الأخرى . وقد استخدم السومريون شيئاً من هذا للكتابة على الرقم أو الألواح الطينية، واستخدم الصينيون جسماً صلباً حاداً للكتابة به على الخشب، وكتب المصريون على البردي بقلم القصب أو البوص . أما العرب فقد صنعوا أقلامهم من لب الجريد، ثم استعملوا أقلام القصب فيما بعد. وهكذا تطور القلم وفقاً لتطور المادة التي يكتب عليها . أما تسمية القلم في العربية ففيها عدة أقوال : منها أنه مأخوذ من لفظ قلاموس Calamus في اللاتينية ويعني قلم . ومنها أن التسمية مأخوذة من شجر القلام وهو شجر رخو، فلما شابهه القلم في الضعف سمي قلما . أو سمي بهذه التسمية نظراً لاستقامته . أو أنه سمي قلماً لأنه يقلم أي يبرىٰ رأسه لأنه –كما قيل– لا يسمى قلما حتى يبرىٰ ، أما قبل ذلك فهو قصبة .

انظر :

— **الخط العربي الإسلامي**، المصدر السابق، ص ص ٤٦–٤٩ .

— **الخطاطة – الكتابة العربية**، المصدر السابق، ص ص ١١٩–١٢١ .

— **تاريخ الخط العربي وآدابه**، المصدر السابق، ص ص ٤٢٥–٤٣٥ .

ومع أن العرب كانوا على معرفة باستخدام قلم القصب حيث رَبَطه كتّابهم الأوائل بمصر، إلا أن تاريخ استخدامهم لقلم القصب المشقوق غير واضح. وقد أصبحوا على إلمام به في زمن فتح مصر، وهناك احتمال كبير أنهم عرفوا قلم القصب واستخدموه أيضاً قبل ظهور الإسلام، خاصة أنه وضع موضع الاستعمال في مصر في القرن الرابع وكان مستخدماً في الأديرة المسيحية في مصر.[1]

وأقلام القصب من مختلف الأطوال والسماكة استخدمت في أنواع مختلفة من الكتابة بالرغم من أنه ليست السماكة بل عرض وميل قطع ريشته وشكله كانت لها الأهمية الرئيسة.

إن فن الخط، كما يفيدنا المؤلفون العرب، يكمن في القلم، في فن قطع السن أو الرأس الذي هو سر القلم. ولقد وُصف بري القلم في الآثار (الآداب) الإسلامية كفَنّ وضعت فيه الوصايا من قبل أرباب هذا الفن المعترف بهم وجدّ الطلاب في طلبها واعتبروها قيمة وحافظ عليها أولئك الذين تضلعوا في هذا الفن* .

ويأتي الحبر في المرتبة الثانية على القائمة بالنسبة للخطاطين المسلمين، وكانوا يستخدمون نوعين من الحبر . يسمى أحدهما دودى ويصنع من سناج القدور

---

* المترجم : تفنّن الخطاطون المسلمون في فن قط القلم وبريه، ووضعوا بعض القواعد والمواصفات التي تساعد على ذلك بدءًا من اختيار المادة التي يصنع منها القلم، ومروراً بالمقط الذي يقط عليه القلم، وانتهاءً بالمدية المبراة أو السكين التي يبرىٰ بها القلم ويقط . وقد زخرت كتب التراث العربي بالإشارات إلى هذا الموضوع شعراً ونثراً . ولعل من أهمها ما نظمه الخطاط ابن البواب وهي قصيدة رائية جليلة تكونت من ٢٨ بيتاً اشتملت على قواعد الخط العربي وقد ضمّنها وصفاً لأدوات الكتابة التي استخدمها الخطاطون والنساخ المسلمون مطلعها :

يا من يريد إجازة التحرير ويروم حسن الخط والتصوير

انظر :

— **الخط العربي الإسلامي**، المصدر السابق، ص ص ٤٦-٤٩ .
— **تاريخ الخط العربي وآدابه**، المصدر السابق، ص ص ٤٢٧-٤٣٥ .
— **الكتاب في الحضارة الإسلامية**، عبدالله الحبشي، الكويت، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٨٢، ص ص ٢٨-٣٠ .

المذاب في العسل، واللبان ومقومات أو مخاليط أخرى. والنوع الآخر ويُدعى حبر كان يُعد من قشور الجوز ويشبه الحبر الأوروبي. وبالنسبة للصنف الأول (الدودى) فكان قابلا للمسح، ويمكن إزاحته بسهولة بلحسة باللسان الذي يستعمل بدلًا من الممحاة .

أما الصنف الثاني فهو الأكثر استخداماً من قبل الخطاطين المعروفين، وهو أكثر لمعاناً، ومقاوم للماء ، ولا يضمحل أو يخبو مع مرور الزمن(١٨)* .

ويذكر جرومان تشكيلات من الألوان وجدت في الوثائق العربية، منها الأسود الغامق والبني الضارب للحمرة وهما الأكثر استخداماً وتكراراً في العصور الأولى . لكن مع إدخال إشارات الحركات العربية (كالفتحة، والضمة، والكسرة) وحروف اللين، والتوضيحات استخدمت أيضاً الألوان الأحمر، والأخضر،

---

* المترجم : للحبر أنواع وألوان كثيرة، كما أنه يصنع من مواد مختلفة بعضها لايحتاج إلى طويل معالجة كالعفص والزاج والصمغ وغيرها، وبعضها يحتاج إلى معالجات أطول يقول ابن مقلة: « أجود أنواع المداد ما اتخذ من سخام النفط » ، ويجب أن يكون الحبر براقاً جارياً والقرطاس نقياً صافياً والحبر أبقى الألوان على مر الدهور والأزمان وهو آلة ذوي العلم وعُدّة أهل المعرفة . وربما يكثر دلق الحبر على الثياب في مجالس العلم فاعتبر هذا من السمات الحسنة . يقول في هذا المعنى أبو عبدالله البلوي :

مداد المحابر طيب الرجال وطيب النساء الزعفران
فهذا يليق بأثواب ذا وهذا يليق بثوب الحصان

ويقول أحمد بن يحيى :

لا تجزعن من المداد ولطخه إن المداد خلوق ثوب الكاتب
وابهج بذلك إنما هو زينة هبة من الله الجليل الواهب

انظر :

ــ الكتاب في الحضارة الإسلامية، المصدر السابق، ص ص ١٧-٣٠ .

ــ الخطاطة - الكتابة العربية، المصدر السابق، ص ١٢٠ .

والأزرق وذلك للأغراض العملية وللناحية الجمالية [٢٠] * .

---

* المترجم : الشكل والإعجام في الخط العربي : أبسط معانيها أن الشكل ضبط الكلمة بالحركات، والإعجام نقط حروفها . ولم يكن الشكل والإعجام معروفين لدى العرب وعندما ظهرا كان العرب يكرهونهما ويعتبرون ذلك تشويهاً للمكتوب. روى عن عبدالله بن طاهر وقد رفع إليه كتاب مشكول حسن الخط أنه قال : « ماأحسن هذا الخط لولا كثرة شونيزه » مشبهاً النقط بالشونيزة وهي الحبة السوداء . وبعد انتشار الإسلام ودخول كثير من غير العرب واختلاط العرب بالأعاجم اعوجَّت الألسن وبدأ يشيع اللحن في ألفاظهم . وصيانةً للقرآن الكريم وخوفاً من فساد الألسن وضياع اللغة كان لابد من علاج ناجع لهذا الداء العضال ، لذا طلب زياد بن أبيه (والي البصرة) من أبي الأسود الدؤلي أن يضع طريقة لإصلاح الألسن فتردد أبو الأسود إلى أن سمع أحدهم يقرأ القرآن محرَّفاً فاستخار الله ولجأ إلى شكل الحروف لتؤدي المعنى بدقة . وذلك بوضع نقطة فوق الحرف للفتحة، ونقطة تحته للكسرة، وبين يديه (أمامه في رواية، أو عن شماله في رواية أخرى) أمّا إذا أُتبع الحرف الأخير بنقطتين أحدهما فوق الأخرى فهذا هو التنوين، ولم يضع شيئاً للحرف الساكن. وكانت نقط الشكل هذه تكتب بمداد مخالف لمداد النص . وقد اعتبرت هذه المرحلة الأولى من إصلاح الخط العربي . أما المرحلة الثانية فهي إعجام الحروف أو نقطها، أي تمييز الحروف المتشابهة عن بعضها مثل الـج والـح والـخ والـص والـض بوضع علامات لها لمنع اللبس . وقد تم هذا عندما كلف الحجاج نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني بوضع الإعجام – نقط الحروف – فوضعت بنفس مداد الكتابة .

ثم تفنَّن أتباع نصر بن عاصم في كتابة شكل النقط فبعضهم وضعها مربعة □ وبعضهم مدورة مطمورة الوسط ● وبعضهم مدورة ○ خالية الوسط . أما المرحلة الثالثة من الإصلاح، فقد أصبحت ضرورية للتمييز بين علامات الشكل التي وضعها أبو الأسود الدؤلي – نقط مختلفة المداد – وبين علامات الإعجام – نَقْط الحروف من نفس المداد – التي وضعها نصر الليثي ويحيى العدواني وتمت هذه في العصر العباسي الأول على يد عالم اللغة الخليل بن أحمد الفراهيدي سنة ١٧٠ هـ الذي أبدل نقط الشكل بثماني علامات هي الفتحة والضمة والكسرة والسكون والشدة والمدة والصلة والهمزة ولا تزال هذه العلامات تستخدم في زمننا هذا .

انظر :

- **تاريخ الخط العربي وآدابه**، المصدر السابق، ص ص ٧٣–٨٦ .
- **دراسات في علم الكتابة العربية**، المصدر السابق، ص ص ٤٧–٥٢ .
- **الخطاطة – الكتابة العربية**، المصدر السابق، ص ص ٥٥–٥٦ .
- **الخط العربي الإسلامي**، المصدر السابق، ص ص ٢٥–٢٨ .

ويعطي القلقشندي وصفاً للمخاليط وتصنيع الأحبار، لكلا المسحوق والمذاب ويشير إلى أن هناك عديداً من العمليات المختلفة وأن بعضها بقى سراً[٢١] . والمقومات الرئيسة للأحبار الداكنة كانت السناج . وتستخدم أنواع أخرى من السناج، من ضمنها استخدام الرماد الناتج عن الاحتراق البطيء لورق البردي[٢٢] وبالنسبة لتجفيف الحبر على الوثائق فإنه إمّا أن يترك يجف بالتبخير أو أن يذر عليه رمل أحمر يقوم بعمل النشافة (المجففة)[٢٣] .

ومع أن الأحبار البنية والسوداء كانت مستخدمة بشكل كبير، إلا أن بعض نسخ مخطوطات القرآن الكريم قد كُتبت بحبر ذهبي وذلك في وقت مبكّر* . وتمشياً مع زخرفة عناوين سور مخطوطات القرآن، بالذهب والفضة فإنهما أيضاً قد استخدما في فترة مبكّرة وذلك بهدف إبراز العناوين وعناوين الفصول في

---

* المترجم : أورد محمد طاهر الكردي في كتابه (تاريخ الخط العربي وآدابه) المشار إليه في تعليقات سابقة فصلًا أسماه بـ (حكم كتابة المصحف بالذهب والفضة وحكم الكتابة على الحرير) . وللعلاقة الوطيدة بين ماأورده المؤلف وبين موضوعنا هذا من ناحية، ولكونه شيّقاً من ناحية أخرى، أراد المترجم أن يورد النص كما هو دون زيادة أو نقصان .

يقول : « يجوز كتابة المصحف بالذهب والفضة للرجل والمرأة ويجوز لهما تحليته بالفضة أما بالذهب فيجوز للمرأة لا للرجل، والفرق بين جواز كتابة المصحف بالذهب – حتى للرجال وحرمة تحليته بالذهب للرجال أن كتابته راجعة لنفس الحروف – الدالة عليه بخلاف تحليته، فالكتابة أدخل في التعليق به، وحكم تمويه المصحف كتحليته بالذهب والتمويه إذابة النقد والطلاء به والتحلية وضع قطع النقد الرقاق مسمرة على الشيء ، وأما كتب الحديث وغيرها فلا يحل فيها ذلك، ويجوز نقش الحلي والكتابة عليه للمرأة «أما الكتابة على الحرير» فتحرم ولو كتابة نحو صداق ولو لامرأة، أي حيث كانت الكتابة من الرجل أما لو كانت الكتابة من المرأة للصداق في الحرير فلا حرمة ولو للرجل، وإن احتاجت إلى كتابة اسمها على ثوبها الحرير لحفظه جاز للرجل وإلا فلا .

(ويستثنىٰ) من تحريم استعمال الحرير للرجل جملة أشياء، منها اتخاذ كيس للمصحف وعلاقته، وجعل علاقة السكين، سواء كان لبري القلم أو غيره، ومنها بقعة الدواة لأنها مستورة بالحبر، ومنها جعل الحرير ورق كتابة لأنه استحال حقيقة أخرى، ومنها أمور لا دخل لها فيما نحن بصدده مما يتعلق بالرسالة أهـ). ملخصاً من الباجوري علي بن شجاع »

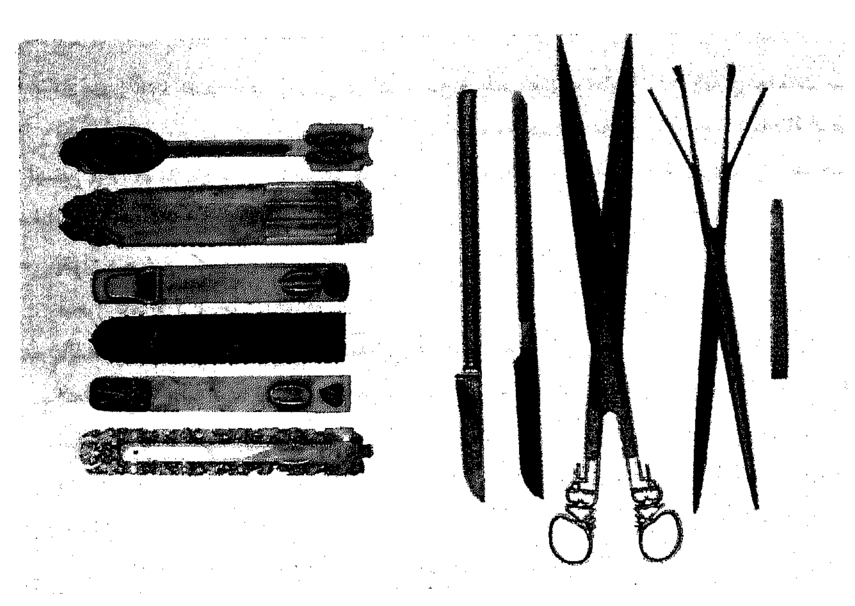
انظر :

ـــ تاريخ الخط العربي وآدابه، المصدر السابق، ص ص ٤٣٧-٤٣٨ .

المخطوطات غير الدينية، وأحياناً كانت الصفحة بكاملها توضع في إطار زخرفي للغرض نفسه ومثال على هذه الطريقة أو الأسلوب ماوُجد في مجموعة رينر التي رسمها ونشرها جرومان[٢٥] .

وتذكرنا الروايات أن المكتبة الفاطمية في القاهرة امتلكت عديداً من نسخ القرآن الكريم كتبت بحروف الذهب. ولا يزال جزء يتكون من اثنين وخمسين ورقة مكتوبة بخط الثلث – محفوظاً في دار الكتب المصرية في مصر[٢٦] .

ولا يستغنى الخطاط عن أداة أخرى هي المقطّة أو مبراة القلم وهي قطعة صغيرة من العظم المسطح أو العاج، مستطيلة الشكل، كان سن القلم يوضع عليها لإعادة شحذه عند الحاجة (شكل ١٩ ، ٢٠) .



(شكل ٢٠)

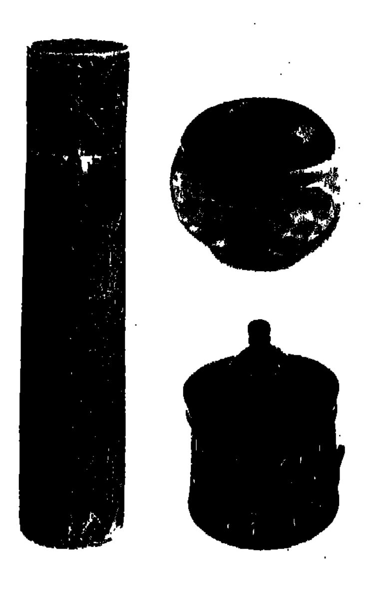
بعض من الأدوات التي يستخدمها الناسخ يرىٰ في الشكل مديات ومقاص وكماشة بعضها مذهب، صنعت في تركيا في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) .

المصدر : **وحدة الفن الإسلامي**، مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٠٥م، ص ٥٦ .

(شكل ١٩)

المقطع، تركيا القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) يركب قلم البوص المسنون في صفيحة تسمىٰ المقطع حيث يثبته في موضعه اخدود مرتفع ريثما تشحذ السن. وفي الشكل مقاطع مختلفة من مواد مختلفة كاللؤلؤ والعاج وصدف السلحفاة .

تشكل المحبرة أو (حقة) (Hoqqa) أحد المقتنيات المهمة للخطاط، واستخدام أنماط مختلفة منها ماهو مصنوع من خزف مزخرف أو من الصيني المزخرف تتكون من رف تدخل فيه أوعية الحبر المصنوعة من نفس المواد . كما أن له سطحاً منبسطاً على جانبه من أجل وضع الأقلام عليه. وهناك ثلاثة أنواع من المحابر القابلة للنقل والتي كانت تحمل في قراب أو جراب أو تغرز في حزام من الجلد(١٨) . وتلك المصنوعة من الجلد عربية الأصل أمّا تلك المصنوعة من المعدن والمنقوشة بكتابات فأصولها تركية، وأمّا المسماة قلمدانات والمزدانة بكتابات ورسوم أخرى فإنها تعود إلى أصول إيرانية (شكل ٢١) .



(شكل ٢١)

محبرتان، الأولى لها لونان الجزء العلوي أزرق والسفلي صاف بكريات مسبوكة . صنعت في إيران القرن الثاني — الثالث الهجري (الثامن — التاسع الميلادي) . أما الثانية فمن البرونز أو النحاس الأصفر المطعم بالفضة . صنعت في إيران أو أفغانستان حوالي ٥٩٧ هـ ١٢٠٠ م .

قراب قلم، عبارة عن اسطوانة عاجية مصمته إلا من تجويف مركزي ضيق مصمم لحمل قلم واحد . ونقش السطح الخارجي بشبكة معينة الشكل وفي وسط كل معين نجم رباعي الرؤوس . صنع القراب في مصر في القرن الثالث — الرابع الهجري (التاسع — العاشر الميلادي) .

المصدر : وحدة الفن الإسلامي، مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٠٥م، ص ٥٨ .

الفصل الخامس

تجليد الكتب

التجليد، كما يذكر عالم اللغة الجاحظ في أحد كتبه، كان اختراعاً حبشياً وصل إلى العرب مع الاختراع الحبشي (المصحف) وهو الشكل الذي بموجبه أصبحت محتويات الكتب تحفظ بطريقة أكثر سهولة وجمالاً* .

وطبقاً لمصادر أخرى، فإن الأوراق غير المربوطة (السائبة) التي كتب عليها أجزاء القرآن الكريم كانت قد وضعت بين لوحين خشبيين في وقت الرسول ﷺ . وهذه الأجزاء نسخت على هيئة كتاب من قبل زيد بن ثابت في وقت الخليفة أبي بكر الصديق . يقول جرومان: «على أية حال يمكن الافتراض باطمئنان أنه مع بداية القرن السابع الميلادي كان الكتاب أو المصحف معروفاً في أوساط المسلمين، ولو أنه كان يتكون من لوحين غير مصقولين وضع بينهما أوراق سائبة(٢٧) . ويشير جرومان إلى المراحل المختلفة لهذا النوع من التجليد قائلاً :

أولا : الطرق البدائية تماماً التي هي عبارة عن ربط متن الكتاب بالغلافين الخشبيين الخاليَيْن من الكتابة دون استعمال الجلد بل باستعمال خيوط أمعاء

---

* المترجم : كلمة مصحف (مثلثة الميم) طبقاً لقاموس المحيط مشتقة من أُصْحِفَ أي جعلت فيه الصحف . والصحيفة كما وردت في مختار الصحاح تعني الكتاب . والمُصْحَف بضم الميم وكسرها وأصله الضم لأنه مأخوذ من (أُصحِفَ) أي جمعت فيه الصحف . وبهذا يصبح المقصود بالمصحف أي كتاب أو أي مجموعة صحف أو أوراق . ولا ينبغي أن ترتبط في الأذهان أن معناها يقتصر على كتاب الله الكريم (القرآن الكريم) .

انظر :

— القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، ص ص ١٠٦٧-١٠٦٨ .

الحيوان ثم استعملت الطريقة الأكثر تقدماً حيث ألصق ظهر الكتاب بشريط من الجلد مثبت على اللوحين . وفي المراحل النهائية من تطور صنع الكتاب غُطي اللوحان بطريقة فنية بغلاف جلدي مزخرف غطي من داخله بالحرير أو القماش وحتى زمن قريب لم يكن هناك مثال على استعمال الغلاف الخشبي في العالم الإسلامي إلا مثال وحيد محفوظ في دار الكتب المصرية في القاهرة التي وجد ضمن مدخراتها مخطوطة للقرآن الكريم في أطوال ٣٤×٢٣ سم، كتبها الإمام جعفر الصادق المتوفىٰ سنة ٧٦٥م ورقمها (١) في مجموعة المصاحف، وتتضمن النص الأول من كتاب الإسلام المقدس (القرآن الكريم) وعدد أوراقها ٢٠٩ ورقة من (رَق) الغزال .

ويُرجع مورتيز، الذي نشر نماذج من المخطوطة الآنفة الذكر على الصفحات ٣١-٣٤ من عمله الموسوم **الكتابات العربية القديمة**، يُرجع تاريخها إلى القرن الثاني أو الثالث الهجري، الثامن أو التاسع الميلادي .

وقد مرت أغلفة الكتب، شأنها في ذلك شأن فنون المسلمين الأخرى، خلال ثلاثة تغييرات متميزة لا يكاد يمكن القول أن أي واحد منها أصل للآخرين، ولكنها جميعاً طورت من تأثيرات خارجية عملت وفق مبدأ جمالي عام. في مواضع معينة تكون هذه الأطوار أو الأنماط مترابطة وقريبة من بعضها البعض، ولكن عند قمة تطورها تصبح هذه بمعزل عن بعضها لمئات السنين، وأيضاً بعيدة عن بعضها كل البعد من ناحية المبادىء . هناك أولا النزعة الطبيعية في تنفيذ الغلاف العربي بحيث تحلى بواجهات القصور والمساجد المغطاة بالآجر الفسيفسائي ومزدانة بالأعمدة، مع فتحات بين الأقواس والعقود غطيت بستر مطوية نازلة كما هو موجود في صور الفسيفساء المشهورة في قصر ثيودوريك في رافنا . هذه النزعة الطبيعية كانت الطراز السائد والأثير لدى عرب القرن السادس والسابع الميلاديين، وذلك قبل أن يُطوِّر فنهم مميزاته الخاصة . أما الأسلوب الثاني بفن أغطية الكتب لدى المسلمين فمعروف بالهندسي . وهذا ظهرت بداياته وملامحه في الوقت الذي كان الأسلوب الطبيعي سائداً. وأقدم وأبسط تصميم ظهر على أغلفة الكتب وعلى الآجر أيضاً تكون من مربعات وضعت كل منها على الآخر وأديرت حول محاورها حتى أصبحت أطرافها منفصلة

وتشكل نجماً . وعند ربطها مع نجوم مشابهة من الحجم نفسه أو من حجم مختلف شكلت هذه جميعاً وحدات شكل عام أكبر . وفيما بعد طور هذا الشكل باستخدام مستطيلات ومثلثات عوضاً عن المربعات، ونتج عن ذلك تركيبات فنية(٢٩) .

أمّا التجليد البسيط الذي يناقشه جرومان (٣٠) فهو على تناقض ملفت للنظر مع الحلية أو الزخرفة الداخلية للمخطوطات المعاصرة ذات علامات الترقيم الذهبية التي تفصل الآيات ووريدات السجدة، والألوان الرائعة لفواصل السور والأوراق المزخرفة، وصاحبت زخارف أخرى رائعة للغلاف الجلدي أحياناً كثيرة حليات لا تقل غنى للغلاف من الداخل* ، ولعل السبب في وجودها إخفاء قبح تراكب جلد الغطاء ولتعطي الغلاف من الداخل مظهراً ساراً . وقبل هذه الأساليب الزخرفية ربما كانت ورقة من البردي أو الرق مستخدمة بدلًا من ذلك(٣١) .

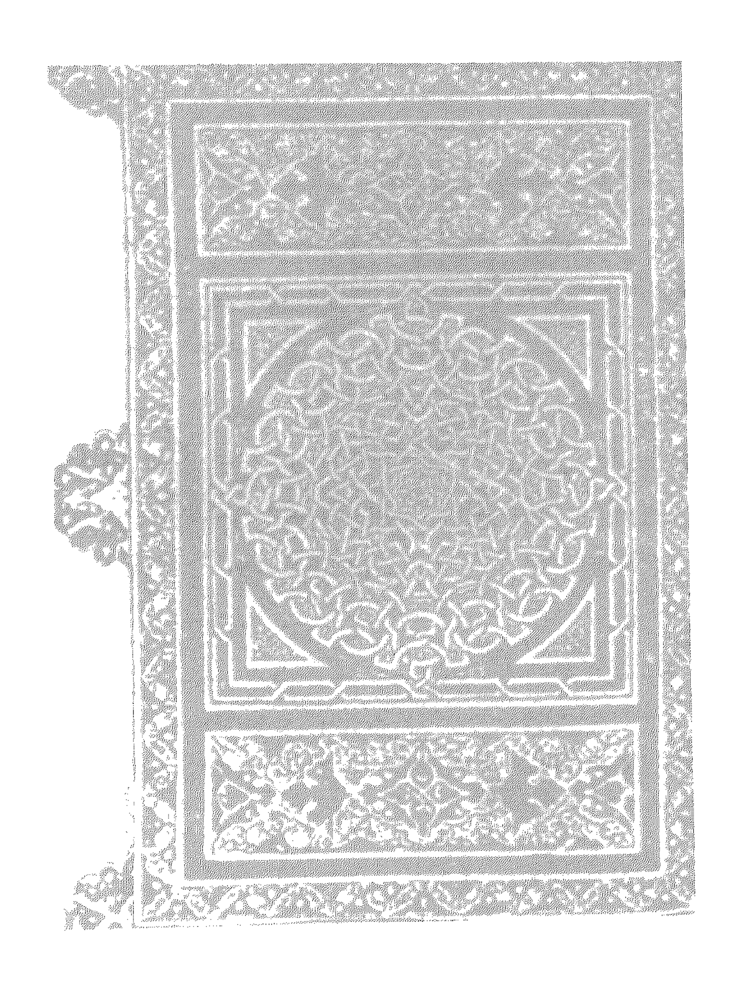
وهناك خاصية عامة لجميع أنواع التجليد الإسلامي هي عبارة عن قطعة مثلثة الشكل مثبتة على الأغلفة الخلفية للكتب في الغرب الإسلامي، والهدف من وجودها حماية الكتاب(٣٢) (شكل ٢٢) .

---

* المترجم : التذهيب استعمال الذهب أو ماء الذهب بعد معالجته بمواد أخرى . لقد احتلت زخرفة المخطوطات بشكل عام وزخرفة القرآن الكريم على نحو خاص مكانة فريدة لدى النساخ والمزوقين والرسامين والمذهبين المسلمين . واستخدم التذهيب بشكل خاص في زخرفة الصفحتين الأوليين والأخيرتين من المصحف بحيث أصبحت هذه الصفحات لوحات فنية رائعة تتوافر فيها جميع العناصر الجمالية المتوافرة في أرقى الأعمال الفنية . كما استخدم التذهيب والزخارف أيضاً في الفواصل بين السور وفي الفواصل بين الآيات ولعل السبب في عدم إقبال المسلمين على كتابة القرآن الكريم بمداد الذهب لما في ذلك من الإسراف والبعد عن البساطة، إلا أن هذا التحرج لم يمنع بعض الخطاطين من كتابة بعض المصاحف بماء الذهب، ثم انتقل التذهيب إلى المخطوطات كما في مخطوطة (مقامات الحريري) المؤرخة في سنة ٧٣٤هـ المحفوظة في المكتبة الأهلية في فيينا .

انظر :

- **الخط العربي الإسلامي**، المصدر السابق، ص‌ص ٢٠٧-٢٦١ .
- **الكتاب العربي - مخطوطاً ومطبوعاً**، محمد ماهر حمادة، الرياض، دار العلوم، ١٩٨٤م ، ص‌ص ١٧٧-١٨٩ .



(شكل ٢٢)

تصاميم زخرفية على غلاف نسخة من القرآن الكريم .

(صورة مأخوذة من ناجي زين الدين، **مصور الكتاب العربي،** الأكاديمية العراقية، بغداد، ١٩٦٨، شكل ٦٣١) .

وأضاف المجلدون والصناع المهرة إسهامات عملية لمهنتهم من خلال ابتكارهم للقطعة المثلثة الشكل المتدلية على جانب الغلاف، والتي تطوق أوراق الكتاب أو المخطوطة في أثناء غلقها . هذه القطعة كانت سابقة للمشبك، وهو ابتكار تال مصنوع من المعدن، الذي تربط به جلدتي الكتاب (غطائيه) مع بعضهما بإحكام وفي بعض الأحيان بإضافة قفل .

وهناك اختراع عملي وأيضاً فني في الوقت نفسه هو الحافة أو الطرف (المخروط) أو (المشطوف) التي ابرزت يتوصل إليها بتشذيب أو (تقليم) طرف الغلاف بحيث تنحدر معه وترقق إلى الخارج .

ومن شأن ذلك أن يمنع الكتاب من التمزق عندما ينزلق من موضع ويسقط على المائدة أو على المكتب. إن ترقيق الطرف ساهم أيضاً في جمال وأناقة الكتاب كما هو واضح تماماً عندما وضعت رائعة من روائع القرن الثاني عشر الميلادي جنباً إلى جنب مع عينات من التجليد المهني الحديث، الذي حلت فيه القوة مقام الجمال[٢٩] وقد قدم سار (Sarre) في كتابه عن أغلفة الكتب الإسلامية عينات مختلفة من هذا النمط الرائع .

وعندما استُبدل ورق البردي والرق كمادتين للكتابة بالورق، كان من الطبيعي أن يحل الورق أيضاً محل المادتين المذكورتين لتغطية الغلاف اللوحي (الخشبي) من الداخل وأن يزخرف بحلية فنية، تماماً كما كانت بطانة الكتاب المصنوعة من الورق .

ومن الأساليب المتبعة لزخرفة الغلاف الجلدي، الكتابة على الأغلفة وتزيينها باستخدام الأدوات وطبع الأحرف والزخارف على الغلاف واستعمال الزخارف القصائصية التي يمكن أن تتوافر في المجلدات الإسلامية المبكرة، ولكن زخرفة التطعيم بالجلد لم يمارسها المسلمون الأوائل إذ وجد هذا الأسلوب طريقه من مصر إلى تركستان، ومن ثم إلى بلاد فارس، حيث وصل أوج كماله في التجليد الرائع والزخرفة باستعمال الشرائط الجلدية والخيوط المذهبة والمفضضة التي اشتهرت بها

مدرسة هرات . لقد أُبقي على التجليد القبطي ليس فقط بالنسبة للتجليد المبكر لدى المسلمين ولكن بقى لمدة أطول مألوفاً في التجليد العربي في جنوب الجزيرة ثم انتقل تأثير التجليد القبطي إلى بلاد فارس من خلال الكتاب العربي، ومن ذلك الوقت سيطر هذا النوع من التجليد على تجليد الكتب في بلاد فارس في جميع مظاهره الفنية(٣٣) .

نصيب وافر من تجليد الكتاب في أروع صورة في الفترة المملوكية الصرفة ربما كان مستورداً من دمشق إلى مصر التي كانت حتى ذلك الوقت أعظم مقر لفن الفسيفساء ، وبعد تدمير المدينة والجزء الأعظم من سوريا من قبل المغول والتتار، كان لابد لمصر أن تعتمد مرة ثانية على قدراتها الفنية الذاتية، مع نتيجة مفادها أنه في خلال القرن الخامس عشر وبعده قد طفح الكيل من ناحية الغنى والجمال حتى أصبح الفن في النهاية متخماً ومن ثم اضمحل(٣٤) .

لقد ذهب فن التجليد العربي الإسلامي للكتب بعيداً خارج حدود تركيا وإيران. لقد أظهرت اكتشافات البعثة الآسيوية للجمعية الجغرافية في عام ١٩٠٨م تأثير فن التجليد العربي وذهابه فيما وراء حدود بلاد فارس الإسلامية . لقد وجد ب. ك. كوسلوفُ (Koslov) غلاف كتاب إسلامي حفظ جزئياً يعود تاريخه إلى القرن الثالث عشر الميلادي وذلك ضمن أجزاء مخطوطات فارسية في أطلال مدينة خراخوتو (Khara Khoto) ، وهي مدينة كان لها أهمية كبيرة خلال أوائل العصور الوسطى (٣٥) . هذه الاكتشافات وأخرى مشابهة قد شجعت مؤرخي الكتاب والفن الإسلامي على الاعتقاد أن مستوى عاليا من كمال الفن الإسلامي الفارسي، تحقق تحت التأثير الآسيوي القوي، ارتبط بالسيطرة المغولية في الفترة من القرن الثالث عشر إلى الخامس عشر الميلاديين، وهذا بطبيعة الحال وجد وسيلته التعبيرية في فن الكتاب كما هو الحال في كل مكان (٣٦) .

وخلال القرن الرابع عشر، بينما كان فن تجليد الكتاب في الدول الإسلامية الغربية، وخاصة مصر، قد بلغ أعلى درجات تطوره كان التأثير العربي في بلاد فارس لا يزال قوياً جداً .

إن الإنتاج التقليدي القرآني المتجمع لابد أنه قد فاق أي كتاب آخر، والمخطوطات القرآنية وجدت ليس فقط في المكتبات البارزة، العامة، والخاصة، ولكن في العديد من المساجد المزدهرة الأصغر حجماً في كل مدينة إسلامية كبيرة، ومن ضمن ممتلكات (مقتنيات) المتعلمين والورعين من المواطنين .

كتبت معظم نسخ القرآن دائماً بخط جيّد تقريباً وصنعت بعمل متقن، وتم تداولها دون قيد أو شرط في أسواق الكتب الخاصة وفي أسواق الوراقين (تجار القرطاسيات، باعة الكتب، والنساخون) . ومن أمثال هؤلاء الوراقين مالك بن دينار المتوفىٰ سنة ١٣٠ هـ الموافق ٧٤٥م، وكان ينسخ القرآن بأجرة، مع أن مهنة بيع وشراء المصاحف، وفقاً لبعض المصادر، تعود إلى وقت مبكّر جداً إلى أيام معاوية بن أبي سفيان [٣٦] *

---

* المترجم : يعرِّف أبو سعيد السمعاني لفظ وَرّاق (بفتح الواو وتشديد الراء) بأنه اسم لمن يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها. وقد يقال أيضاً لمن يبيع الورق ورّاقاً. وفي كتب اللغة الورّاق (مورق الكتب). وفي الصحاح الورّاق هو الذي يورّق ويكتُب وحرفته الوراقة. وبهذا يكون عمل الورّاق نسخ الكتب وبيع الورق. وفي ابن النديم، واليعقوبي، وابن الجوزي، وياقوت أن للوراقة معنى أوسع، فهي تعني أيضاً من يجلد الكتب، ومن يبيعها فسوق الوراقين هي السوق التي تباع فيها الكتب في بغداد، فالوراقة بمعناها الشامل في العصور الإسلامية المختلفة تقوم على أربع عناصر : ١) النسخ، وما يتبعه من تزويق وتصوير وتذهيب . ٢) بيع الورق وسائر أدوات الكتابة كالأقلام والحبر وغير ذلك . ٣) تجليد الكتب . ٤) بيعها .

ولم تكن هذه الحرفة – التي انتشرت في العالم الإسلامي بعد انتشار صناعة الورق في بغداد وغيرها من حواضر الدولة الإسلامية – لم تكن من المهن المرموقة بل كانت مهنة شاقة ومبتذلة ينظر صاحبها بشيء من الازدراء . وبالرغم من ذلك فقد مارسها عدد كبير من العلماء والفضلاء أمثال الحسن بن عبدالله المرزباني الذي كان قاضياً زاهداً ورعاً لا يأخذ على الحكم أجراً، إنما كان يأكل من كسب يمينه فكان لا يخرج إلى مجلس الحكم ولا إلى مجلس التدريس حتى ينسخ عشر ورقات يأخذ أجرتها عشرة دراهم . وقد وصف أبو محمد عبدالله بن محمد البكري الشاعر الأندلسي الوراقة قائلًا : =

. . . .

= أما الوراقة فهي أنكد حرفة أوراقها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بصاحب إبرة تكسو العراة وجسمها عريان

انظر :

- **مقدمة ابن خلدون**، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون ، تحقيق علي عبدالواحد وافي، ج ٣ . ط ١ . لجنة البيان العربي ١٩٦٠م ، ص‌ص ٩٦١-٩٦٤ .
- **تاريخ الكتب والمكتبات**، محمد ماهر حمادة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، ص‌ص ١٧٥-١٨٢ .

الفصل السادس

الوراقة والوراقون

إن الزيادة المتعاظمة في حجم المكتبات الإسلامية المبكرة وعددها قد ماثلها زيادة متصاعدة في مبيعات الكتب الخاصة والعامة، وأقدم شراءات الكتب قد تمت في مجتمعات غير إسلامية، ولم تكن تجارتهم في الكتب مقصورة على أنفسهم أو مع العرب (السورة ٣ الآية ٧٧)* . بل على النقيض كان بيع الكتب المقدسة (بيع العلم) بما فيه القرآن الكريم أول الأمر من مسائل الجدل الديني . ولكن بحلول نهاية القرن الأول الهجري أصبح هذا الأمر مبرَّراً أو مسوغاً وأصبح واسع الانتشار على نحو متزايد . إن الطلب المتزايد على الكتب، بنوعيها الديني والمدني قد تولد نتيجة لحيوية ونشاط الجماعة الإسلامية المسيطرة التي عجلت نسبة التعليم بشكل سريع وبحماسة نشرت عقيدتها الجديدة مبدية اهتماماً متزايداً في نشر لغتها الأم في المسجد والدولة والمؤسسات التعليمية، وبوسائل فعالة لمضاعفة الإنتاج وتوزيعه . إن بائع الكتب العادي قد تحول بشكل سريع من أبسط تاجر لبيع مواد الكتابة – إلى ناسخ في بداية الأمر لنسخ القرآن ، ثم الحديث، وبعد ذلك المخطوطات الأخرى – وأخيراً تحول إلى بائع كتب وناشر لها ، عندما وجد للتو أن هذا الأمر عملياً واقتصادياً بشكل أكبر في بعض الأوقات لتصنيع مخزونه الخاص من الورق. هذا الانتشار السريع للطلب على الكتب أوجد صناعة مبكرة مزدهرة كما أوجد مهنة الوراقة (فن بيع الكتاب ونسخه) ومنها أتى اسم الورَّاق وهو الذي يمتهن بيع الكتب ونسخها .

* المترجم : استشهد الكاتب بالآية ٧٧ من سورة البقرة (رقم ٣) ﴿ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلا أمانيَّ وإنهم إلا يظنون﴾ .

هذا الورّاق ورفاق مهنته رسخوا أقدامهم في المدن الرئيسية في أسواق عمل أسموها باسم مهنتهم مثل سوق الورّاقين أو باسم سلعتهم أسواق الكتب .

وقد وردت الإشارة إلى مثل هذه الأسواق في وقت مبكر حتى أنها كانت تعود إلى وقت المهلب بن أبي صفرة المتوفى سنة ٨٢ أو ٨٣ هـ الموافق ٧٠١ أو ٧٠٢ م والذي كان لديه اهتمام عملي بالحديث وهو قد أشار على أبنائه بالتردد على أسواق السلاح والكتب[٣٧] .

وهكذا بينما تكافح الثقافة غير الدنيوية للتمسك بفكرة الأفضلية المطلقة للرواية الشفهية، نجد أنه منذ النصف الثاني من القرن الأول الهجري فصاعداً، نمت الكراسات أو الكتيبات والكتب وتضاعف عددها في جميع المجالات الفكرية، مع كثرتها في مجالات وقلّتها في أخرى. لقد عاش المؤلفون، والنساخ، والجماع حياة كريمة بينما ملأت كتبهم الخزائن الخاصة، وزينت أرفف المكتبات، وموّنت متاجر الكتب . إلى مثل هذه المتاجر لجأ ابن إسحاق، عندما كان لايزال في المدينة في آخر عقد من حكم بني أمية، وذلك للتزود من المصادر المتوافرة المكتوبة من أجل تاريخه الشامل الطموح *[٣٧] .

---

* المترجم : ابن إسحاق : أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار، كان جده يسار مولى قيس بن مخرمة بن عبدالمطلب بن عبدالمناف . سباه خالد بن الوليد في عين التمر . ولد ابن إسحاق في المدينة في حوالي ٨٥ هـ وتوفى بين سنتي ١٥٠-١٥٣ هـ ، ترك ابن إسحاق المدينة ورحل إلى غيرها متنقلًا في أكثر من بلد، ذهب إلى الإسكندرية، ثم الكوفة، والجزيرة، والرى، وبغداد التي ألقى -على الأرجح- عصا الترحال فيها، والتقى المنصور، وصنف لابنه المهدي كتاب السيرة . وكان طويلًا فطلب منه المنصور أن يختصره ففعل، ثم أتى من بعده ابن هشام (ت ٢١٣) فهذب سيرة ابن إسحاق ولخصها وهي الموجودة في أيدي الناس وتعد من أقدم المصادر التي بين أيدينا عن الرسول ﷺ وأوثقها .

انظر :

— **السيرة النبوية**، ابن هشام (أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري) حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وآخرون ، ج ١ ، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٦٠، ص ص ط - ص .

ويؤكد اليعقوبي (مؤرخ) انه في زمنه (٨٩١م) تباهت العاصمة العباسية (بغداد) بأكثر من مائة تاجر أو بائع كتب احتشدوا جميعهم في شارع واحد. كثير من تلك المتاجر، كخلفائها أو ورثتها في القاهرة ودمشق، قد وضعت أكشاكاً صغيرة بالقرب من المساجد إلا أنه لا شك أن بعض تلك كان كبيراً بما فيه الكفاية لتعمل كمراكز خبرة، أو مراكز لمحبي الكتب وجامعيها[٣٨] * .

ولقد أظهرت المعلومات في الكتب الإسلامية المبكرة التي وصلتنا أن المجتمع الإسلامي وصل إلى كل أنواع المعلومات التاريخية، ليشرح ويضيف أو ليكمل التلميحات أو الإشارات التاريخية الواردة في القرآن الكريم والحديث الشريف (أقوال الرسول ﷺ) فيما يتصل بالقرآن الكريم كوثيقة تاريخية باديء ذي بدء ، بنفس الطريقة كالكتب المقدسة بالنسبة لليهود، والمسيحيين، والمجوس حيث اعتبرت كلها تاريخية، إن المؤرخين العرب الأوائل كانوا مهتمين بالأساطير الدينية كما هو في التاريخ المعاصر والواقعي (الحقيقي) لأنهم يستطيعون أن يجمعوا بين الحديث والأخبار مع نتائج خبراتهم الخاصة وملاحظاتهم . وبالمعنى العام فإن لفظ كل من حديث وأخبار تعني «تقرير» أو «معلومات» بصرف النظر عن طبيعته أو مصدره . واقتضى الاهتمام الديني والشرعي معرفة سيَر الأوائل من المحدّثين والفقهاء وعلماء الشريعة بينما الاهتمامات المدنية (غير الدينية والتاريخية) ركزت على

---

* لم تكن حوانيت الوراقين أماكن لبيع الكتب وأدوات الكتابة فحسب، بل كانت منتديات علمية وثقافية . واكتسبت الوراقة في عهد ابن النديم شهرة واسعة وكان لفظ ورّاق يُطلق على بعض المشاهير أمثال ياقوت الحموي، وابن النديم صاحب (الفهرست) وابن شاكر صاحب (فوات الوفيات) . وكان لبعض كبار المؤلفين والأدباء ورّاقون، فكان زكريا بن يحيٰ ورّاقاً للجاحظ، وكان ابن الزجاجي أحد ورّاقي المبرّد و كان للقاضي أبي مطرف في الأندلس ستة من الورّاقين .

انظر :

— **كتاب الفهرست**، المصدر السابق، ص ٨٩ .

سير الخلفاء، والحكام والقواد، وأصبحت كلمة السيرة غالبة على عناوين كتب النثر الإسلامية المبكرة جداً وهي كتب سبقت السيرة الأصلية لحياة الرسول ﷺ التي كتبها ابن إسحاق كتب ضاعت وفقدها المؤرخون والدارسون في وقتنا الحاضر. وبينما تلاقت طريقة المؤرخ والمحدث نحو نهاية القرن الأول الهجري فإن المؤرخ الأكثر جدية، الذي التزم بالفعل بتدوين أغلب مواده تبنى طريقة الإسناد التي اكتسبت أهمية ورواجاً في حقل الحديث النبوي الصحيح . إن كتب الحديث ألزمت نفسها من ناحية أخرى بإيراد السند للفظ الأحاديث وقائعها وتواريخها . ولقد استمر النقل الشفهي إلا أنه ذهب جنباً إلى جنب مع السجل المكتوب. هذا التحول ظاهر بشكل واضح فيما بقى من الكتب التاريخية لابن إسحاق والواقدي، وهما مؤرخان منهجيان مهنيان، تظهر أعمالهما نقداً ضمنياً في الانتقائية والقِصَر أو الإيجاز . أمَّا كتب الشعر فكانت مفضلة بصورة مساوية لدى حكام المسلمين . مثل معاوية بن أبي سفيان، والخليفة عبدالملك بن مروان الذي يشابه اهتمامه بالتاريخ اهتمامه بالشعر .

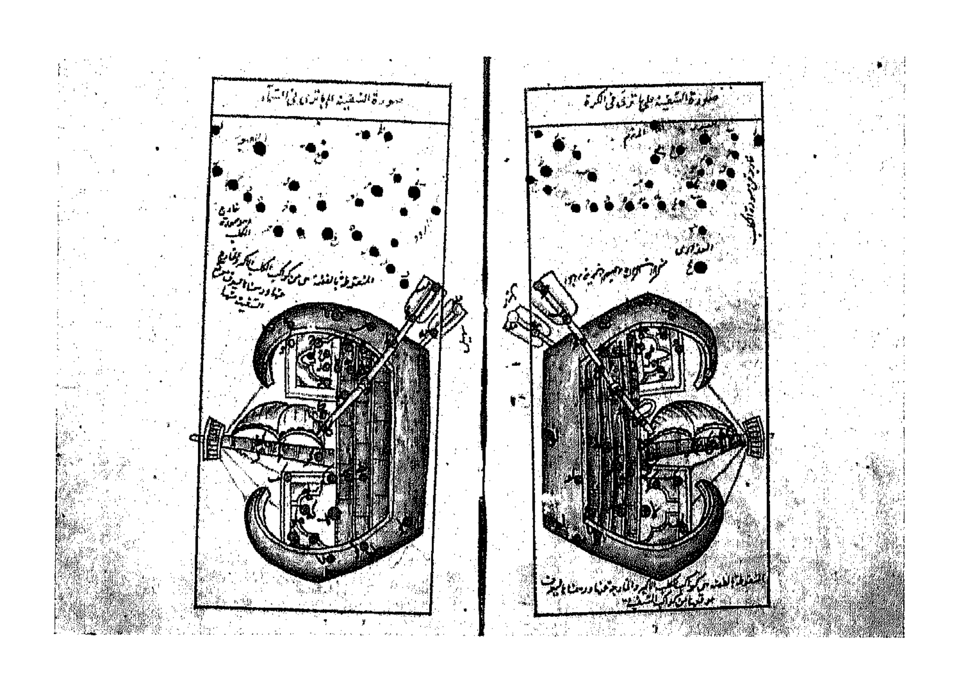
ويكشف تحليل محتويات الكتب الإسلامية المبكرة، خاصة في فترة بني أمية، ارتباط التاريخ والشعر كما يُروىٰ في أخبار عبيد بالحديث وارتباط التاريخ كما يرىٰ من أعمال عروة والزهرى، ويبلغ هذا الترابط ذروته في الكتب التاريخية لابن إسحاق، التي تسير فيها الأخبار، والسير، والحديث جنباً إلى جنب .

إن دراسة القرآن الكريم وضرورة تفسيره كانت باعثاً أيضاً على ظهور العِلْمَين التوأمين فقه اللغة وصناعة تأليف المعاجم بالإضافة إلى أنها حفزت أعظم النشاط الأدبي الإسلامي أصالة وهو علم الحديث .

إن المؤسسات الثقافية التي ازدهر من خلالها الكتاب الإسلامي في فترة بني أمية قد أقامت نموذجاً احتذى به خالد (البرمكي) والمنصور في رعايتهما رواد العلم في كل مجال خلال الفترة العباسية. يقر بن سعيد مؤرخ الثقافات المقارنة الأندلسي المسلم الذي كان يكتب التاريخ في القرن الحادي عشر يقر بالتطور السريع الذي حدث في علم اللغة وفي علوم الدين، والطب، وفي القانون، وعلم الفلك .

وبينما كانت الفترة الإسلامية المبكرة حتى نحو ٨٥٠م فترة الترجمة النشطة إلى اللغة العربية من الآداب الأجنبية فإن هذه الفترة اتبعت بواحدة من الأنشطة الخلاقة، إذ لم يقف دور العرب عند استيعاب مجموعة المعارف الفارسية أو التراث الكلاسيكي للإغريق فقط، ولكنهم كيفوا ما أُخذ من تلك الأمم طبقاً لحاجاتهم وطرق تفكيرهم .

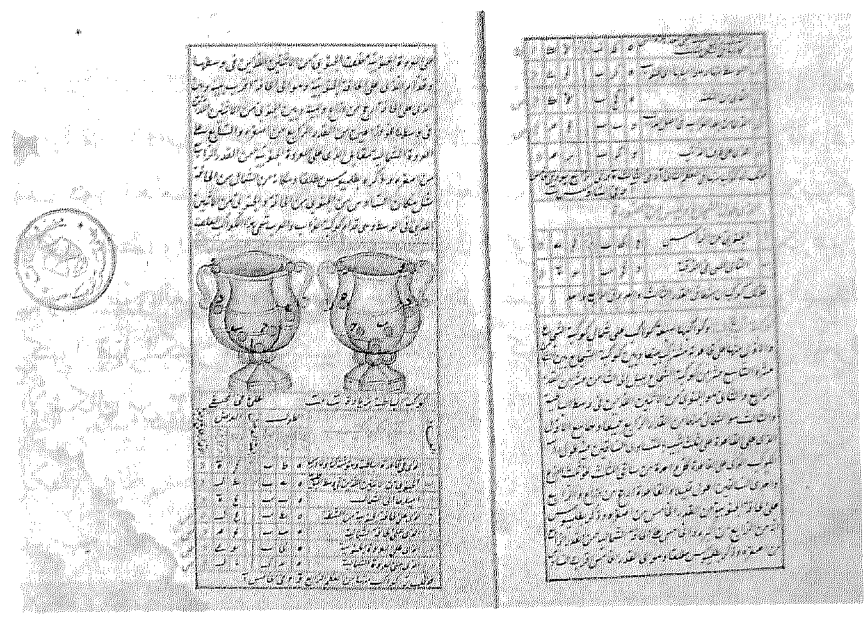
ولقد طوّر العرب أيضاً العلوم الجديدة مثل الطب، والكيمياء، والفلك، والصيدلة وكتبوا فيها الكثير من الكتب والرسائل كما كتبوا في فروع أخرى من المعرفة (الأشكال من ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧) .



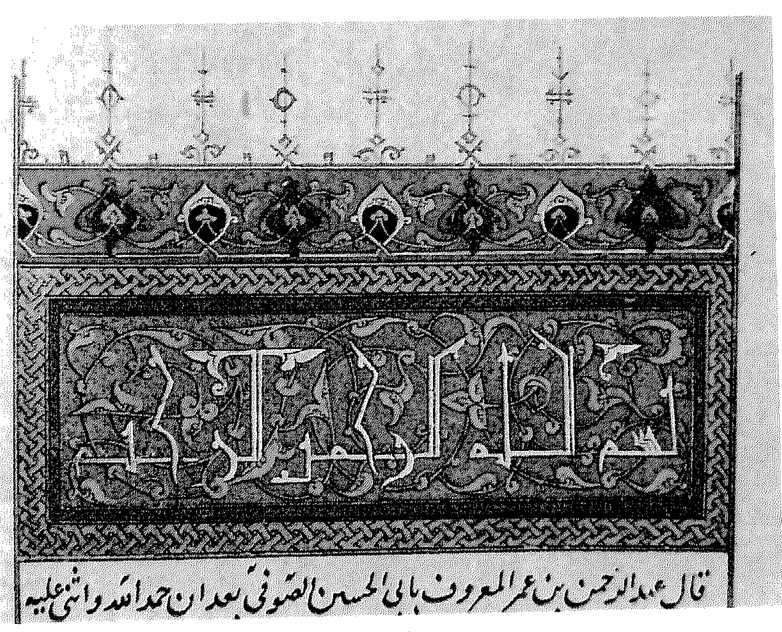
(الشكل رقم ٢٣)

عن مخطوطة لكتاب (**تصوير صور الكواكب**) لعبدالرحمن الصوفي المتوفى سنة ٣٧٦هـ . المخطوطة رقم ٢٨٩ – قسم المخطوطات – المكتبة المركزية – جامعة الملك سعود ، تاريخ النسخ ٨٧٠هـ .

اسم الناسخ علي بن حسن بن محمود بن سليمان، الموضوع (الكواكب، الفلك الوصفي) .



(الشكل رقم ٢٤)



(الشكل رقم ٢٥)

عن مخطوطة لكتاب (**تصوير صور الكواكب**) لعبدالرحمن الصوفي المتوفى سنة ٣٧٦ هـ . المخطوطة رقم ٢٨٩ – قسم المخطوطات – المكتبة المركزية – جامعة الملك سعود ، تاريخ النسخ ٨٧٠ هـ .

اسم الناسخ علي بن حسن بن محمود بن سليمان، الموضوع (الكواكب، الفلك الوصفي) .



(الشكل رقم ٢٦)

عن مخطوطة لكتاب **الدر النظيم في تسهيل التقويم** لمحمد بن معروف المتوفى سنة ٩٩٣ هـ .
تاريخ النسخ : القرن الثاني عشر الهجري تقديراً . الموضوع (التقاويم البحرية) .
الرقم ٤٨٤٨ – قسم المخطوطات – المكتبة المركزية – جامعة الملك سعود – الرياض .



(الشكل رقم ٢٧)

عن مخطوطة لكتاب **الدر النظيم في تسهيل التقويم** لمحمد بن معروف المتوفى سنة ٩٩٣هـ .
تاريخ النسخ : القرن الثاني عشر الهجري تقديراً . الموضوع (التقاويم البحرية) .
الرقم ٤٨٤٨ – قسم المخطوطات – المكتبة المركزية – جامعة الملك سعود – الرياض .

الفصل السابع

المكتبات الاسلامية وتنظيمها

لم تنشأ المكتبات الإسلامية نتيجة لاهتمام أو حاجات الأفراد المثقفين والجمعيات الدينية، ومعاهد التعليم . فمنذ أقدم عهود التاريخ الإسلامي وجد اهتمام لدى الحكام والخلفاء المسلمين في تعليم أتباع هذا الدين وفي نشر المعلومات ، وبشكل رئيس بث ما يتعلق بالدين والتاريخ بين معتنقي الدين الإسلامي .

لم يكن لدى العرب المسلمين الذين خرجوا من شبه جزيرة العرب مكتبات ولا تقاليد مكتبات أو كتب ، ولكن ما أن فتحوا مراكز الحضارات القديمة حتى نمّوا اهتمامهم بالمكتبات . ولم يقتصروا فقط على تبني الأدب الفارسي والعلم الإغريقي ولكنهم أيضاً طوروا صناعتهم الخاصة بالكتاب منذ القرن السابع والمكتبات منذ القرن التاسع الميلاديين .

وبدأ التقدم العظيم للتعليم والأنشطة العلمية في العالم الإسلامي قرب نهاية القرن الثامن الميلادي . وقد عزز قيامه صناعة الورق التي دخلت في العالم الإسلامي في ذلك الوقت من الشرق الأقصى الذي وفر مواداً رخيصة لإنتاج الكتب. ويبدو أن مكتبات الإمبراطورية الرومانية الشرقية قد اتخذت مثالًا يحتذىٰ في البناء . فلقد أوجد الخليفة العباسي هارون الرشيد مكتبة في بغداد وتلقى الإتاوات في شكل مخطوطات من بيزنطة وأماكن أخرى . وابنه المأمون المتوفىٰ سنة ٨٣٣ م كان أكثر حماسة لجمع الكتب حتى من أبيه ويعود إليه الفضل في الاهتمام بالمشاريع العلمية لترجمة روائع الإغريق وكذا أدب الشرق إلى اللغة العربية * .

---

* المترجم : سبقت الترجمة للمأمون وإنما يراد هنا ذكر عدد الكتب التي تمت ترجمتها من مختلف اللغات لتبيين الجهود الضخمة التي بذلها المسلمون في مجال النقل لإثراء الجوانب المختلفة للحضارة الإسلامية . =

المكتبة على كتب في جميع العلوم التي رعاها العرب. وقد ازدهرت دار الحكمة حتى دخل المغول مدينة بغداد سنة ٦٥٦ هـ [٤٠] * .

ولم يأت القرن الرابع الهجزي العاشر الميلادي إلا وكانت هناك بالفعل مبان خصصت تماماً للمكتبات وشيدت خصّيصاً لهذا الغرض. فعلى سبيل المثال بنىٰ سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهي في سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١م داراً للكتب في منطقة الكرخ في بغداد احتوت على أكثر من ١٠,٠٠٠ مجلّد . كما أشار المسعودي الجغرافي المشهور، إلى أن عضد الدولة البويهي (٣٣٨ – ٣٧٢ هـ/ ٩٤٩ – ٩٨١م) قد بنىٰ مكتبة كبيرة في شيراز . هذه المكتبة كان لها بناء مستقل تكوّن من قاعة كبرى وعدد من الغرف أو الخزائن . وهناك أكاديمية أخرى حملت اسم بيت أو دار الحكمة أنشأها الوزير سابور بن أردشير في سنة ٣٨١ أو ٣٨٣هـ حوالي ٩٩٣ – ٩٩٤م .

ويبدو أن أنشطة هذه الأكاديمية وأهدافها كانت أدبية وفلسفية أكثر منها عملية . وكانت مكتبة فريدة رائعة تشكل جزءًا من المؤسسة الأصلية واحتوت على كتب جميلة نادرة لكنها سلبت فيما بعد ** .

---

* المترجم : سبق الحديث عن بيت الحكمة في بغداد من خلال الحديث عن الخليفة المأمون والنهضة العلمية في عهده .

** المترجم : دار العلم وتسمى أيضاً خزانة الكتب، مكتبة عامة أوجدها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهي في بغداد في الكرخ بين السورين . وقد اختلف المؤرخون في سنة تأسيسها فيذهب ابن الأثير وابن كثير إلى أنها أنشئت في سنة ٣٨٣ هـ وهناك بعض المصادر تذكر أنها تأسست في سنة ٣٨٢ هـ وأخرى تورد أن تأسيسها كان في سنة ٣٨١ هـ منها ابن الأثير نفسه في ذكره لحوادث ٤١٦ هـ التي توفى فيها أبو نصر سابور بن أردشير حيث يقول : «وفيها (أي سنة ٤١٦ هـ) توفى سابور بن أردشير، وزير بهاء الدولة، وكان كاتباً سديداً وعمل دار الكتب ببغداد سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وجعل فيها أكثر من عشرة آلاف مجلّد، وبقيت إلى أن احترقت عند مجيء طغرلبك إلى بغداد سنة خمسين وأربعمائة» ومن أمناء المكتبة عبدالسلام البصري وأبي منصور الخازن، كما كان الشريف المرتضى المشرف عليها في أثناء تردد أبي العلاء المعري عليها . أما مجموع =

كانت المساجد مراكز التعليم، وكثير ما كان يوقف العلماء مكتباتهم على مساجد المدن التي يعيشون فيها. وذلك لهدفين ليضمن حفظها من ناحية ولتظل هذه الكتب في متناول المتعلمين. تلك هي الطريقة التي حصلت بها الجامعات العظيمة مثل جامعتي قرطبة وطليطلة على مكتبتيهما. وتذكر المصادر أن مدينة بغداد وحدها كان بها ٣٦ مكتبة. وآخر مكتبة بها كانت مكتبة آخر الوزراء بن العلكمي وقد خرّبت خلال تدمير مدينة بغداد عندما دخلها المغول. وفي القاهرة، بالإضافة إلى مكتبة دار الحكمة * وجد أربع مكتبات خاصة كبرى. وهناك معلومات كثيرة عن مكتبات القاهرة الخاصة ذكرها بن أصيبعة في كتاب التاريخ الشامل للأطباء اليونانيين والعرب .

= كتب هذه الدار فتزيد على ١٠,٠٠٠ مجلّد منها ١٠٠ مصحف بخطوط بني مقلة . وقد اشتهرت هذه الدار وذاع صيتها لشهرة روادها الذين كان أشهرهم أبو العلاء المعري الذي قامت بينه وبين اثنين من أمنائها صداقة متينة وهما أبو منصور الخازن وعبدالسلام البصري حتى أن أبي العلاء وجه رسالته التاسعة عشرة إلى أبي منصور الخازن، كما ورد ذكر أبي منصور أيضاً في رسالة الغفران مقترناً بذكر دار العلم وذكر جارية سوداء تُدعى توفيق كانت تخدم في هذه المكتبة . يقول أبو العلاء :

وغنّت لنا في دار سابور قينة ... من الورق مطراب الأصائل ميهال

انظر :

- **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد)، بيروت، دار صادر، دار بيروت، م ٩ ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦، م ٩ ، ص ١٠١ ، م ٩ ، ص ٣٥٠ .
- **الوقف وبنية المكتبة العربية**، المصدر السابق، ص‌ص ٣٧-٣٩ .
- **تاريخ الكتب والمكتبات**، المصدر السابق، ص‌ص ١٢٩-١٣٣ هـ .
- **لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات**، عبدالستار الحلوجي ، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م ، ص‌ص ٣٥٢-٥٣٥ .

* المترجم : دار الحكمة في القاهرة أسسها الحاكم بالله الفاطمي سنة ٣٩٥ هـ . قيل إنه اختار هذا الاسم كرمز للدعوة الشيعية التي تسمي مجالسها مجالس الحكمة أو أنها سميت بدار الحكمة اقتداء ببيت الحكمة في بغداد وميّزت عنها بالشق الأول من اسمها . والهدف الأساسي من إنشائها تلقين أصول الدعوة الفاطمية . كانت دار الحكمة مؤثثة تأثيثاً حسناً وأقيم لها الخدم والفراشون، كما نقل إليها =

وهناك مكتبة عظيمة أخرى أنشأها خلفاء بني أمية في قرطبة، إلا أن هذه شتت بعد غزو المرابطين لأسبانيا في أول القرن الخامس الهجري .

ومن بين المكتبات غير الكبرى مكتبة أنشأها السلطان مسعود الغزنوي، نقل أغلبية كنوزها إلى بخارىٰ فيما بعد. وكثير ماأوردت الروايات عن مكتبات قيِّمة خاصة قد وضعت تحت تصرف العلماء . فقد قرأنا على سبيل المثال في تراجم الصولي أن مجموعة كتبه الكبيرة كانت مجلدة تجليداً فاخراً يدل على حسن ذوق وكان تجليدها من الجلد الأحمر والأصفر .

ولقد أعطيت قوة دافعة لتأسيس المكتبات من قبل وزير السلطان السلجوقي ملكشاه نظام الملك عندما أوجد كليات ومدارس للتعليم العام وذلك في نيسابور وبغداد، وأماكن أخرى . ولم تقتصر الأوقاف الخاصة بتلك المدارس على رواتب

= أعداد غفيرة من الكتب الموجودة في خزائن القصور الفاطمية وعدد كبير آخر من الخزائن الخاصة . وقد اشتملت على أقسام مختلفة : قسم للفقهاء ، وقسم لقراء القرآن، وقسم لأصحاب اللغة، وقسم للمنجمين، وقسم للأطباء . كان الخليفة يزور المكتبة من حين لآخر فيترجّل ويخلع نعليه، وتعرض عليه الكتب الواردة ليأذن بوضعها في الرفوف . وفتحت فيها مجالس للمحاضرة والمناظرة قسم للرجال، وآخر للنساء وكانت المناظرة تنقل إلى بيت الخليفة فيشترك أو يشرف عليها . ومن أجل تمكين هذه الأكاديمية من القيام بعملها وحرصاً على توفير موارد مالية كافية تعين على استمرار خدمتها للمنتفعين بها فقد أوقف عليها ريع بعض الدور والحوانيت .

انظر :

- **كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروفة بالمقريزية**، تقي الدين أحمد علي المقريزي طبعة جديدة (بالأوفست) بيروت، دار صادر (طبع الأصل بدار الطباعة المصرية ببولاق عام ١٢٧٠ هـ)، م٢ ، ص‌ص ٢٧٣ – ٢٧٤، م١ ، ص‌ص ٤٠٩ ، ٤٥٨ .
- **المكتبة في العالم العربي تاريخها – تاريخها وطرق العمل بها**، المصدر السابق، ص‌ص ٤٣–٥٠ .
- **تاريخ الكتب والمكتبات**، المصدر السابق، ص‌ص ١٠١–١٠٦ .
- **النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة**، ابن تغري بردي، القاهرة ودار الكتب المصرية، جـ ٤ ، ١٩٢٣م ، ص ٢٢٢ .

الأساتذة فقط ولكنها زودت أيضاً بالمخطوطات النفيسة ذات العلاقة بالمواضيع التي تدرس في هذه المؤسسات العلمية .

وقد ورد أن فقيه الموصل وشاعرها جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي المتوفى سنة ٣٢٣ هـ والذي كان يمتلك داراً للعلم احتوت مكتبتها على عدد كبير من الكتب المنوعة تنويعاً كبيراً. هناك في تلك المؤسسة العلمية كان يقدم تسهيلات أخرى لمن يريد الدراسة بما في ذلك إعطاء الورق مجاناً للقراء وكان هو يقوم بتدريس الفقه، والتاريخ والأدب والشعر لكل من يستمع إليه . لهذا السبب فإنه يتضح أن هذه الأكاديمية كأكاديمية سابور بن أردشير، كانت مكرسة للأمور أو المواضيع الأدبية[٤١] .

وهناك عالمان آخران ربما حاكا ماقام به الخليفة هارون الرشيد وابنه المأمون فأطلقا على المكتبتين اللتين أنشآهما خزائن أو بيوت الحكمة. أحد هذين يدعى على بن يحيى المنجم، الذي كان والده متضلعاً في علم الفلك في بلاط المأمون وكان والد عليٌّ هذا قد تحوّل إلى الإسلام . وكان عليٌّ هذا مغنياً وكان لديه في حاضرة بلاده مكتبة غير عادية سمح للعلماء الآخرين باستخدامها . وكان من بين العلماء الذين ترددوا على تلك المكتبة أبو معشر وهو أحد الفلكيين الخراسانيين الذين يقتطف الآخرون كثيراً من كتاباته، كان أبو معشر قد توقف في مكتبة علي بن المنجم وهو في طريقه لأداء الحج في مكة إلا أنه أصبح منهمكاً في دراسة كنوز هذه المكتبة إلى درجة أنه لم يعد لديه رغبة في أن يكمل حجه[٤٢] * .

---

* المترجم : أسس علي بن يحيى المنجم وهو رجل فاضل من محبي الكتب ومريديها مكتبة له في بكركر قرب بغداد وكانت خزانة عامرة بالكتب يأتي الناس إليها من كل مكان، وكان المنتفعون بهذه المكتبة ممن قدموا من أماكن نائية يجدون بالإضافة إلى ذلك الضيافة الكريمة على نفقة صاحبها . وقد ذُكرت هذه المكتبة لأبي معشر المنجم من أهالي خراسان وكان قادماً للحج فأتى إلى هذه الخزانة وهاله مافيها من كتب فأقام هناك وترك الحج، وتعلم علم النجوم وأغرق فيه حتى ألحَد فكان آخر عهده بالحج وبالإسلام .

انظر :

ـــ معجم الأدباء، ياقوت الحموي، القاهرة، مطبعة دار المأمون، د. ت، جـ ١٥، ص ص ١٤٤-١٧٥ .

وكانت الكتب في المكتبات الإسلامية مرتبة بشكل منظم ومصنفة وفقاً
فروع المعرفة. فنسخ القرآن الكريم عادة لها مكان خاص بها. ففي المكتبة الـ
في القاهرة على سبيل المثال وضعت مُرتَّبة أعلى الكتب الأخرى. وبالنس
الكتب الأخرى فإنها تقدم في عدة نسخ مما يجعل بالإمكان مطالعة المقا
الفقرات المحرَّفة في مخطوطةٍ ما من خلال الرجوع إلى مخطوطة أخرى . مثال
كان في المكتبة الفاطمية المذكورة ٣٠ نسخة من كتاب العين للخليل بن
الفراهيدي، و ٢٠ نسخة من تاريخ الطبري . وإذا صحّت الرواية فقد كـ
أيضاً ١٠٠ نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد[٤٣] .

وتتكون فهارس المكتبات الإسلامية إما من عدة مجلدات رُتِّبت فيها ا
الكتب (ربما طبقاً للفروع المختلفة للمعرفة) أو أنها، كما في المكتبة الفاطمية
عن قائمة بأسماء الكتب المضمنة علقت على باب كل غرفة[٤٣] * .

---

* المترجم : الفهرسة في المكتبات في المفهوم الحديث تعني عملية إنشاء الفهارس، كما أنها عملية
الفني للمواد التي تتضمنها المكتبة . وهدفها جعل المواد في متناول المستفيد بأيسر السبل وأقـ
والوقت . والفهرسة نوعان : وصفية، تتعلق بوصف الكيان المادي لوعاء المعلومات في الـ
خلال البيانات، مثل المؤلف، والعنوان، والطبعة، ومكان النشر وغيرها من الصفات التي تـ
معلومات عن آخر . وموضوعية، تختص بوصف المحتوى الموضوعي لأوعية المعلومات مر
رؤوس الموضوعات أو أرقام التصنيف بحيث يمكن تجميع المواد عن نفس الموضوع في مكان
أما فهارس المكتبات التي طبقتها المكتبات الإسلامية خلال تاريخها الطويل فهي نوعان : إما أ
في شكل كتاب (فهرس قاموسي)، وقد وجد هذا النوع في مكتبة الحكم الثاني في قرطبة حيث
الفهارس المتعلقة فقط بدواوين الشعر فيها ٤٤ فهرساً في كل فهرس ٢٠ ورقة، كما وجد هـ
أيضاً ببيت الكتب بالري وهي مكتبة وقفها الصاحب بن عباد على المدينة وبلغ مجموع فهار
مجلدات . أما النوع الثاني من الفهارس، فهو عبارة عن قوائم تكتب وتعلق على كل قسم من
لتبين محتوياته . هذه اللوائح توضع في مكان بارز بحيث يستطيع استخدامها المستفيدون، و
هذا النوع في مكتبة الدولة في شيراز، وفي دار الحكمة في القاهرة، وفي مكتبة بني عمار (دار الـ
طرابلس .

انظر :

— **تاريخ الكتب والمكتبات**، المصدر السابق، ص ص ١٥٤-١٥٦ .

ويذهب شبرنجر في تقريره الموسوم «تقرير في المكتبات الإسلامية المنشور في لكنؤ في عام ١٨٩٦م» إلى الاعتقاد بأن كتاب الفهرست لابن النديم ماهو إلا تصنيف لإحدى المكتبات الموجودة في ذلك الوقت. ويوافق حسين على الفكرة القائلة أن ابن النديم رتب الفهرست طبقاً لنظام التصنيف السائد في ذلك الوقت في المكتبات الإسلامية[٤٤] * .

ومن المعقول أنه لا ابن النديم ولا غيره من ببليوجرافيي أي عصر آخر كان سيعد ثبتاً منظماً بالكتب يتجاهل كلياً الطريقة السائدة التي تقدم بها المعلومات في ذلك الوقت وكببليوجرافي فإنه يحاول بالتأكيد وضع قائمة بمواد القراءة تكون مألوفة للأغلبية المتعلمة أو المثقفة بشكل جيّد .

---

* المترجم : ابن النديم : هو أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم (٣٢٠-٤٠٠ هـ) يرجح أنه ولد في العقد الثاني من القرن الرابع الهجري توفى على وجه التقريب نحو نهايته . أما عن مشائخ ابن النديم فيذكر أنه سمع من أبي الحسن بن سوار بن الخمار ومن أبي الفرج الأصفهاني وأبي سعيد وأبي الحسن محمد بن يوسف الناقط وأبي إسحاق السيرافي وغيرهم . امتهن الوراقة التي يحتمل أنه ورثها عن أبيه، ويرجح أنه ألّف كتاباً آخر فقط ذكره ياقوت هو «التشبيهات» .

ولم يحظ ابن النديم باهتمام المترجمين ولعل السبب وراء ذلك اتهامه بالتشيع ثم بالاعتزال ثم بالرافضية . يصف ابن النديم كتابه هذا بقوله : «هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم والموجود منها بلغة العرب في أصناف العلوم وأخبار مصنفيها وطبقات مؤلفيها وأنسابهم وتاريخ مواليدهم ومبلغ أعمارهم، وأوقات وفاتهم وأماكن بلدانهم ومناقبهم ومثالبهم منذ ابتدأ كل علم اخترع إلى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة» .

وقد قسم الكتاب إلى عشر مقالات . وقسمت كل مقالة إلى عدة فنون .

انظر :

- **كتاب الفهرست**، ابن النديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٤٨م، ص ص ٢-١١ .
- **معجم الأدباء**، المصدر السابق، م ١٨، ص ١٧ .
- **في مصادر التراث العربي**، السعيد الورقي، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٤، ص ص ١٩٧-٢٠١ .

ولذلك فمن المعتقد أن فهرست ابن النديم صورة واضحة لنظام التصنيف المطبق في مكتبات ذلك الوقت. ووفقاً لهذا الاعتقاد فإن المكتبات أو مجموعات الكتب في ذلك العصر كانت مقسمة إلى عشرة أقسام هي التي أسماها ابن النديم في الفهرست مقالات وهذه الأقسام الرئيسة مقسمة طبقاً لحاجات كل مكتبة. وتتكون الأقسام (الأبواب) العشرة كما أوردها ابن النديم من :

١ — القرآن .

٢ — النحو .

٣ — التاريخ .

٤ — الشعــر .

٥ — العقائد .

٦ — الفقــه .

٧ — الفلسفة .

٨ — السـمـر .

٩ — الأديان .

١٠— علم الصفة .

وتتعامل الأقسام أو الأبواب الستة الأولى مع آداب الإسلام أما الأربعة الأخيرة فإنها تعالج الآداب غير الإسلامية .

والفهارس التي على هيئة كتاب من المحتمل أنها كانت مصنفة كالفهرست وقد وُضع المدخل الرئيس فيها تحت اسم المؤلف، كما هو معمول به حالياً، مع نبذة ببليوجرافية قصيرة عن المؤلف في النهاية .

وللمكتبة الإسلامية في العادة مدير يسمىٰ صاحب، وفي أحيان أخرى يسمىٰ خازن، كما يوجد بها ناسخ، وفراش، وكل ذلك يعتمد على حجم المؤسسة (المكتبة). ويُختار مديرو المكتبات من فئة العلماء البارزين. فكان المؤرخ

ابن مسكويه مكتبياً للوزير أبي الفضل بن العميد في مدينة الري(٤٥) * .

وكان الشبشتي المتوفى سنة ٣٩٠ هـ = ١٠٠٠ م مؤلف كتاب «الديارات» يعمل في المكتبة الفاطمية في القاهرة خلال حكم الخليفة العزيز .

كانت المكتبات مفتوحة لكل الناس دون مقابل، كما كانت السلطات تزود الرواد بالورق، والحبر، وأقلام الغاب (البوص) . بل إن بعض المكتبات الخاصة تزوّد بالمأكل والمشرب والمأوى للعلماء الذين يفدون من أماكن بعيدة . وفي الغالب لا تتطلب المكتبات تأميناً نقدياً مقابل إعارة الكتب خارج المكتبة. وكان

---

* المترجم : يلاحظ الباحث في تاريخ المكتبات الإسلامية اختلافاً في الألقاب التي تطلق على العاملين في المكتبات الإسلامية، فنجد في نص وقفية الحاكم بأمر الله الفاطمي المتعلقة بدار الحكمة في القاهرة التي خصص لها العشر وثمن العشر الذي يمثل ٢٥٧ ديناراً خص الخازن منها ٤٨ ديناراً. كما يرد ذكر لقب الخازن في مكتبات كثيرة أخرى مثل دار العلم التي أسسها سابور بن أردشير – سبق ذكرها – تلك التي كان يتردد عليها أبو العلاء المعري الذي كان يربطه بخازنيها أبي منصور الخازن وعبدالسلام البصري الخازن علاقات قوية وقد وجه أبو العلاء رسالته التاسعة عشرة إلى الأول منهما . وفي المكتبة المستنصرية نجد – بالإضافة إلى الخازن لقب المشرف والمناول فكان عين العماد علي بن الدباس يعمل مشرفاً، وعين الجمال ابراهيم بن الحذيفة يعمل مناولا . وكان ابن الفوطي المؤرخ المعروف خازناً لمكتبة مراغة ، ثم عين مشرفاً ومن ثم خازناً لمكتبة المدرسة المستنصرية . أما في بيت الحكمة في بغداد فقد أطلق لقب (أمين) على ثلاثة من العاملين فيها – كما مر ذكره . ويذكر ماهر حمادة أن المكتبات الكبرى توضع تحت إدارة ثلاثة أشخاص المشرف الأعلى ويسمى الوكيل، وأمين المكتبة ويسمى الخازن، ومساعده ويسمى المشرف، وهذه تتغير مع الزمن تبعاً لطبيعة المؤسسة ووظيفتها وحجمها، إلا أنه حوفظ على النظام الثلاثي وإن تغير اللقب كما في مكتبة المدرسة المستنصرية حيث سمي المسؤول الأول خازن، والثاني مشرفاً، والثالث مناولا .

انظر :

- **معجم الأدباء**، المصدر السابق، ٢٣٧/١٧ .
- **تاريخ علماء المستنصرية**، ناجي معروف ، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٥٩م، ص ص ٢٧٤–٢٨٠ .
- **الوقف وبنية المكتبة العربية**، المصدر السابق، ص ص ١٤٨ .
- **تاريخ الكتب والمكتبات**، المصدر السابق، ص ص ١٥٠–١٥٣ .

التزويد بالكتب يتم بشكل جزئي عن طريق الشراء أو عن طريق النسخ خاصة أن هناك نساخين ملحقين بالمكتبات .

وخلال الازدهار العظيم للثقافة الإسلامية في الأندلس، كان هناك مايقارب سبعين مكتبة عامة في شبه جزيرة ايبريا . فالخليفة الحكم الثاني المتوفى سنة ٩٧٦م اشتهر بتصميم أفخم مؤسسة علمية. فقد ضم المكتبات الخاصة بوالده وأخيه إضافة إلى مكتبته ووضعها في مدينة قرطبة. وجمع حوله العلماء والنساخ، والرسامين وأرسل وكلاء إلى الشرق لجمع مايستطيعون من الكتب لإكمال مجموعات كتبه قدر الإمكان* .

---

* المترجم : تعتبر فترة الحكم الثاني المستنصر بالله ٣٥٠-٣٦٦ أهم فترات الازدهار الثقافي في الأندلس، لا سيما وأنها كانت فترة استقرار سياسي ورخاء اقتصادي عم ربوع تلك البلاد . يصف ابن خلدون الحكم الثاني بأنه محباً للعلوم مكرماً لأهلها جماعة للكتب في أنواع مالم يجمعه أحد من الملوك، وأنه يبعث بالرجال ومعهم المال لإحضار الكتب الأمر الذي جعل العلم بضاعة رائجة في الأندلس .

اعتمدت الأندلس في بداية أمرها على الكتب التي تصلها من الشرق، فكان يرحل العلماء من هذه البلاد إلى بلاد الشرق ويعودون بكتب الشرق وعلومه، وكمثال على ذلك ماروى بن بشكوال عن أبي حفصة الزهراوي الذي ذكر أن سلمة بن سعيد ساق من الشرق ثمانية عشر جملًا وكان قد اتخذ من مصر موئلًا يجمع فيه الكتب فكلما اجتمع له مقدار منها نزح بها إلى الأندلس .

انظر :

- **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر،** عبدالرحمن بن خلدون، بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، م ج ، ١٩٧٩م ، ص ١٤٩ .
- **تاريخ ابن خلدون،** المصدر السابق، ص ١٤٦ .
- **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس – من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة،** السيد عبدالعزيز سالم ، بيروت، دار المعارف، ١٩٦٢م ، ص ص ٣١٣-٣١٤ .
- **المكتبات في تاريخ أئمة الأندلس،** ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبدالملك) ، تحقيق عزت العطار الحسني، القاهرة، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية ١٩٥٥م ، جـ ١ ، ص ٢٢٠ .

وكانت طليطلة المكان الرئيس لنشر العلوم العربية في أوربا، التي يعتبر استخلاصها من قبل المسيحيين في عام ١٠٥٨ م نقطة تحول في تاريخ العلوم في القرون الوسطى. ونستشهد بما قاله فيكتور روس Victor Rose عندما قال : «كانت طليطلة المكان الطبيعي للتبادل مع المسيحيين بالمعرفة الإسلامية» إن الناطقين بالعربية كانوا الحاملين الرئيسين لمشعل الثقافة والحضارة في كل مكان من العالَم. إن الكتاب الإسلامي كان السبيل الذي من خلاله تم إنقاذ العلوم والفلسفة القديمة، وكملت، وترجمت بالطريقة التي جعلت من الممكن قيام النهضة في بلدان غرب أوروبا .

* * *

REFERENCES



1. Nasser al-Naqshabandi, "Early Islamic Manuscripts of the Qurān," *Islamic Rev.*, 46(1), 18 (January 1958).
2. Muhammad A. Simsar, "Islamic Calligraphy," *Asia*, 36, 814 (1936).
3. Ref. *2*, p. 817.
4. Ibn al-Nadim, *Kitāb al-Fihrist: mit Anmerkungen hrsg. von Gustav Flügel*, Vol. 1, Vogel, Leipzig, 1871–1872, p. 119.
5. Clarence K. Streit. "Calligraphy of the Moslems," *Int. Studio*, 81, 346 (1925).
6. B. Moritz, *Arabic Palaeography*, Hiersemann, Leipzig, 1905, p. 381.
7. Ghulam Muhammad Dihlawi, *Tadkhira-i-Khushnavisān*, Calcutta, 1910, p. 92.
8. Ref. *2*, p. 813.
9. Adolf Grohmann, ed. *Corpus Papyrorum Rainerie Archiducis Austriae*, Vol. 1, Part 1, K. & K. Hof & Staatsdruckerei, Vienna, 1923, p. 19.
10. Sir Thomas Arnold and Adolf Grohmann, *The Islamic Book; A Contribution to its Art and History from the VII to XVIII Centuries*, Pegasus, Leipzig, 1929, p. 12.
11. Ref. *9*, pp. 21–64.
12. Ref. *9*, pp. 22–32.
13. Ahmad Ibn'Ali al-Qalqashandi, *Kitāb Ṣubḥ al-A'shā fi Ṣinā'at al-Inshā'*, Vol. 2, Dar al-Kutub, Cairo, 1913–1919, p. 476.
14. Ahmad ibn Yaḥya al-Balādhuri, *Futūh al-Buldān* (*Liber Expugnationis Regionum*) (M. J. de Goeje, ed.), Lugduni Batavorum, 1866, p. 465.
15. Palestine Exploration Fund, *Quarterly Statement*, 1936, pp. 216–220, *Amer. J. Archeology*, 41, 149 (1937).
16. Ref. *9*, p. 35.
17. Ref. *9*, pp. 29–32.
18. Ref. *2*, p. 815.
19. Alfred Lucas. *Ancient Egyptian Materials and Industries*, 2nd ed., rev., Arnold, London, 1934, p. 134.
20. Ref. *13*, pp. 446–448.
21. Ref. *13*, pp. 461–466.
22. Ref. *13*, p. 465 ff.
23. Ref. *13*, p. 468; Nabia Abbot, *The Rise of North Arabic Script*. Univ. Chicago Press, Chicago, 1939, p. 27.
24. Ref. *10*, p. 18.
25. Ref. *9*, Plate 4c.
26. Ref. *10*, p. 21.
27. Ref. *10*, Figure 5.
28. Ref. *10*, p. 44.
29. Gustavus A. Eisten, "Arabic and Persian Bindings," *Int. Studio*, 80, 220 (1924).
30. Ref. *9*, p. 47.
31. Ref. *10*, p. 43.
32. Frederick Sarre, *Islamic Bookbindings*, Scarabaeus Verlag, Berlin, 1923, Plate 111, p. 11.
33. Mehmet Aga-Oglu, *Persian Bookbindings of the Fifteenth Century*, Univ. Michigan, Ann Arbor, 1935, p. 2.

34. Ref. *29*, p. 227.
35. Ref. *32*, p. 3.
36. N. Abbot, *The Rise of the North-Arabic Script and Its Kuranic Development, with a Full Description of the Kur'ān Manuscripts in the Oriental Institute*, Univ. Chicago Press, Chicago, 1939, p. 29.
37. Ref. *36*, p. 24.
38. Philip K. Hitti, *History of the Arabs*, 10th ed., Macmillan, London, 1970, p. 414.
39. N. Abbot, *Studies in Arabic Literary Papyri I. Historical Texts*, Univ. Chicago Press, Chicago, 1957, p. 29.
40. F. Krenkow, "Kitabkhana," in *Encyclopedia of Islam*, Vol. 2, Part 2, Brill, Leiden, 1925–1928, p. 1045.
41. Ref. *40*, p. 420.
42. Ref. *4*, p. 143.
43. Ref. *40*, p. 1046.
44. S. Vilayat Hussain, "Organization and Administration of Muslim Libraries (from 786 to 1492 A.D.)," *Pakistan Lib. Assoc. J.*, 1(1), 8–11 (July 1966).
45. Ibn Miskawaihi, *Tadjarub al-Umam* (Amedroz and Margoliouth, eds.), Oxford Univ. Press, London, 1921.

BIBLIOGRAPHY



Abbot, Nabia, "Arabic Paleography, the Development of Early Islamic Scripts," *Ars Islamica*, 8, 65–104 (1941).

Abbot, Nabia, "The Contribution of Ibn Muklah to the North-Arabic Script," *Amer. J. Semitic Languages and Literatures*, 56, 70–83 (1939).

Abbot, Nabia, *The Rise of the North-Arabic Script and Its Kuranic Development, with a Full Description of the Kur'ān Manuscripts in the Oriental Institute*, Univ. Chicago Press, Chicago, 1939.

Abbot, Nabia, *Studies in Arabic Literary Papyri I. Historical Texts*, Univ. Chicago Press, Chicago, 1957.

Baladhurī, Aḥmad ibn Yaḥyā al-, *Futūḥ al-Buldān* (Liber Expugnationis Regionum) (M. J. de Goeje, ed.), Lugduni Batavorum, E. J. Brill, 1866.

Ballantyne, James R., *Principles of Persian Calligraphy. Illustrated by Lithographic Plates of the Ta'līq Character, the One Usually Employed in Writing the Persian and Hindustānī*, 2nd ed., Madden, London, 1845.

Becker, Carl H., "Arabische Papyri des Aphroditofundes," *Zeitschrift für Assyriologie und Verwandte Gebietre*, 20, 68–104 (1907).

Bhattacharyya, A. K., "A Study in Muslim Calligraphy in Relation to Indian Inscriptions," *Indo-Iranica*, 4(2–3), 13–23 (1951).

Cairo, Dār al-Kutub, *Arabic Papyri in the Egyptian Library* (Adolf Grohmann, ed.), Cairo, 1934.

Carter, Thomas F., *The Invention of Printing in China and Its Spread Westward*, Columbia Univ. Press, New York, 1925.

Cheikho, L., "Arabic Palaeography, Publiée Par Dr. B. Moritz," *Al-Mashriq*, 9, 811–815 (1906) (in Arabic).

Encyclopedia of Islām, Brill, Leiden, 1913.

Ettinghausen, Richard, "Manuscript Illumination," in A. U. Pope, *Survey of Persian Art*, 3, 1937–1974 (1939), Figs. 640–642 and Plates 926–950.

Ettinghausen, Richard, *Arab Painting*, Skira, Cleveland, distributed by the World Publishing Co., 1962 (Part 2, "The Flowering of the Art of the Book").

Fleischer, Heinrich Leberecht, "Zur Geschichte der Arabischen Schrift," *Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft*, 18, 288–291 (1864).

Grohmann, Adolf, *Allgemeine Einführung in die Arabischen Papyri, Nebst Grundzügen der Arabischen Diplomatik, Mit Fünf Abbildungen im Texte*, Burgverlag, Vienna, 1924.

Grohmann, Adolf, *From the World of Arabic Papyri*, with a Foreward by Shafik Ghorbal, Royal Society of Historical Studies, Cairo, 1952.

Grohmann, Adolf, "The Origin and Early Development of Floriated Kufic," *Bull. de l'Inst. d'Egypte*, 37, 273–304 (1956).

Grohmann, Adolf, "Bibliotheken und Bibliophilen im Islamischen Orient," in *Austrian National Bibliothèque. Festschrift . . .*, Vienna, 1962.

Ibn Durustuyah, 'Abd Allah Ibn Ja 'far, in *Kitāb al-Kuttāb* (L. Cheikho, ed.), Beirut, 1921.

Ibn Khaldūn, 'Abu Zaid Abd al-Raḥmān, *Al-Muqaddimah*, al-Matba 'ah al-Amiriyah, Bulaq, 1857.

Jahshiyāri, Muhammad Ibn 'Adbūs al-, *Kitāb al-Wuzarā wa al-Kuttab*, (Hans V. Mzik, ed.), (*Bibliothek Arabischen Historiker und Geographen*, I), Leipzig, 1926.

Mackensen, Ruth Stellhorn, "Background of the History of Moslem Libraries," *Amer. J. Semitic Languages*, **51**, 114–225 (October 1934–July 1935).

McLennan, Jeanne, "Turkish Calligraphy," *Lands East* (Washington), 2(4), 9-11 (1957).

Moritz, Bernard, ed., *Arabic Palaeography*, Hiersemann, Leipzig, 1905.

Naqshabandi, Nāṣir al-Mansha' al-Ḳhaṭṭ al-'Arabi wa Tatawuruh li-Ghāyat 'Ahd al-Khulafā al-Rashidīn ("The Origin of Arabic Writing and Its Development to the Time of the Orthodox Khalīfs"), *Sumer*, 3(1), 129–142 (1947).

Rehatsek, E., "On the Arabic Alphabet and Early Writings (With a Table of Alphabets)," *J. Roy. Asiatic Soc.*, Bombay Branch, **14**, 173–198 (1879).

Rosenthal, Franz, "Abū Haiyān al-Tawḥidī on Penmanship," *Ars Islamica* **13–14**, 1-30 (1948).

Vajda, George S., *Album de Paléographie Arabe*, Adrien-Maisonneuve, Paris, 1958.

Zain al-Din, Naji, *Atlas of Arabic Calligraphy / Musawwar al-Khatt al-'Arabī*, The Iraq Academy, Baghdad, 1968 (Text in Arabic).

Ziauddin, Mehmet, *A Monograph on Moslem Calligraphy with 163 Illustrations of Its Various Styles and Ornamental Designs*, Visva-Bharati Book Shop, Calcutta, 1936.

MOHAMMED M. AMAN